المشرق

الملائكة بازاء العلم والدين

نظر فلسفي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

الكنيسة الكاثوليكيَّة في كلندارها السنوي تذكر غير مرَّة الطغمة الملائكيَّة اجمالا او افراداً بتخصيص احد الايام الثلثة المبرّزين بينهم اعني ميخائيل وجبرائيل ورافائيل فتكرمهم اكراماً عاماً او خاصاً وتقيم الاعياد لذكرهم وتحضُّ ابناءها على الالتجاء الى شفاعتهم. لكنَّ الشهر الذي دخلنا فيهِ اي تشرين الاوَّل قد أُفرز لهذه العبادة ولاسيما لتكريم الملائكة الحرَّاس الذين عهد الله اليهم حراسة بني البشر ليرشدوهم الى كل خير ويصونوهم نفساً وجسماً من كل ضير

فرأينا ان ننتهز هذه الفرصة لنكتب فصلاً في هذا الصدد نجمع فيهِ خلاصة ما يستفاد من العلوم العقلية والدينيَّة بخصوص الملائكة اذ قد قرأنا في بعض المجلَّات والجرائد الوطنيَّة والمصريَّة التي صدرت في هذه المدَّة الاخيرة كلاماً ينافي حقيقة الواقع وينظم في سلك الخرافات ما يرويهِ ارباب الاديان عن هؤلاء الملائكة فنذكر في قسم اوَّل ما يُستدلُّ بهِ على هذا الامر من العلم الصحيح والعقل الصائب ثم نتخطى في قسم ثانٍ الى ما افادنا الوحي في هذا الشأن

ودفعاً للالتباس نقدّم على كلامنا ما نفهمهُ بالملائكة مع جمهور العلماء وعموم الناس فنقول: انَّ الملائكة ارواح منزهة عن المادة والاجسام الهيولية ذات فهم وارادة خلقها الله لخدمتهِ وتنفيذ اوامرهِ. وسنعود الى هذا التحديد في غضون ابحاثنا

١ الملائكة بازاء العلم

إن استقصينا العلوم البشرية سواء كانت في دائرة الطبيعة المحسوسة او في نطاق ما وراء الطبيعة بقي عقل الانسان متحيراً متذبذباً في الجواب عن وجود الملائكة وتعريف احوالهم . اما العلوم الوضعيَّة الطبيعيَّة فسبب سكوتها ظاهر لانها لا تتجاوز حيز المحسوسات والملائكة كما قلنا مجرَّدون عن المادَّة فلا تشبهم يد ولا تبصرهم عين ولا تسمع ركزهم اذن وقس عليه بقية الحواس التي لا تحكم في غير المادة ذات الاقدار المحسوسة من طول وعرض وسمك وعمق الخ . اما سكوت العلوم التي موضوعها ما وراء الطبيعة فلانَّ هذه تبني حكمها على حقائق اوَّليَّة او ثانويَّة يثبت العقل صحتها بالمقابلة او بالتخطي من المفعول الى الفاعل . وبديهي انَّ قضيَّة وجود الملائكة لا تُنال بالمقابلة ويمكن نسبة كثير من المفاعيل الظاهرة في الكون الى الله تواً دون توسط الملائكة والارواح

افنقول اذن ان قضيَّة الملائكة خارجة عن حيز العلوم وانَّها من القضايا التي يجوز للعلم ان يتغاضى عنها ولا يكترث لها ؟ كلَّا ثمَّ كلَّا

فان كان العلم قاصراً عن اثبات وجود الملائكة والارواح بنوره الخاصّ يمكنهُ ان يستضيء بانوار قريبة منهُ ترشدهُ الى معرفة الحقيقة

واوَّل ما يلوح للعقل السليم اذا اعتبر العالم وطبقات الكون اذهُ يرى في المخلوقات سياقاً عجيباً يوصل بين كل حلقة منها حتى تكاد تلتحم ببعضها وتشتبك بتواصل تامّ فيرتقي النظر في كل مواليد الطبيعة من الجماد الى النبات الى الحيوان الاعجم الى الناطق دون عناء . فيا ترى ألا يوجد بين الانسان المركَّب من قوى مدركة وجسم حيواني وبين خالقهِ الاله ذي الجلال والكمال المالئ الكون بجبروتهِ الابدي الازلي وعلَّة كل معلول مكانٌ لحلقة أخرى توصل بين هذه الخليقة ملكة العالم المنظور وربَّها الواجب الوجود

فالجواب الذي يتبادر اليهِ العقل برويَّتهِ وافرازهِ انَّ بين الكائنات المنظورة وخالقها الاعلى وسطاً اعني الارواح المخلوقة المجرَّدة عن الهيولي فتكون بطبيعتها المترهة عن المادة اقرب الى الله ممثلةً لكمالاتهِ في كيانها الشبيه بكيانهِ على قدر ما

يمكن المخلوق المتناهي ان يمثل صورة الخالق غير المتناهي. وهكذا تمثل نوعاً تلك الهاوية العظيمة التي بين الله عزَّ وجلَّ ومخلوقاته المشوبة بكدورة المادة وظلمة الشهوة

وهذا الدليل سبق اليه ائمة الفلاسفة فاختصر القديس توما اللاهوتي رأيهم بقوله: «لا بُدَّ من اثبات جواهر مجرَّدة عن الجسم هي واسطة بين الله والمخلوقات الجسميَّة. وذلك لانَّ الله بتكوينه المخلوقات انَّما يقصد الخير والخيرُ يتوقف على التشبُّه بالله. وهذا التشبه يكون اتمّ واكمل اذا ماثل المعلولُ علَّتهُ في ما به تُصدر العلَّةُ المعلولَ ولمَّا كان الله يصدر المخلوقات بالعقل والارادة اقتضى كمالُ العالم وجودَ مخلوقات مجرَّدة عن الجسم لا تُدرك الَّا بالعقل فقط»

وقد انتبه فلاسفة العرب الى ذلك فنقل القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥) قول واحد منهم فقال:

قال بعض الحكماء ان لم يكن في فضاء الافلاك وسعة السماوات خلائق فكيف يليق بحكمة الباري تعالى تركها فارغة خاوية مع شرف جوهرها وانهُ لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغاً حتى خلق فيهِ اجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جوّ الهواء الرقيق حتى خلق لهُ انواع الطير تسبح فيها كما تسبح السمك في الماء. ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية الصلبة حتى خلق فيها اجناس السباع والوحوش ولم يترك ظلمات التراب حتى خلق فيها اجناس الهوامّ والحشرات. . . . فالملائكة صلاح العالم وتمام الموجودات وكمال الاشياء بتقدير العليم الذي لا يعزب عن علمهِ مثقال ذرَّة في الارض ولا في السماء

ولنا على وجود الملائكة دليل آخر قريب الى العقل مبني على هذا المبدأ الفلسفي وهو انَّ ما اتفقت عليهِ كافَّة الشعوب والامم لا بُدَّ من الحكم بصدقهِ وصحته اذ انَّ في ذلك الوفاق دليلًا على انَّ الحقيقة طبعها في عقل الانسان مكوّنُ الطبيعة نفسهُ. والحال انَّ القول بوجود الملائكة والارواح حقيقةٌ ثابتة شائعة عند كل الامم بلا استثناء. كما تشهد عليهِ جميع آثارهم وتواريخهم بل كثير من الطوائف الهمجيَّة تعتبر تلك الارواح كآلهة دونهُ تعالى او برفقتهِ عزَّ وجلَّ

ولنا في شهادة التاريخ دليل ثالث يجب على العقل ان يرضخ لهُ ويقرَّ بهِ خانعاً. فان اعتبرنا الاسفار المقدَّسة كتآليف تاريخيَّة فقط حرَّرها رجال ذوو فضل وعلم يوثق برواياتهم كما يُستند الى روايات كتبة صادقين لا غاية لهم تحملهم على الخداع ثم

عالمين محققين لا يسمحون لاحد بان يموّه عليهم بالتدليس والكذب وجب علينا الاقرار بوجود الملائكة اذ لا يخلو سفر من الكتب المنزلة عن ذكرهم مباشرةً بسفر التكوين (٣ : ٢٤) الذي ذكر الكَرُوبين الحارس لجنّة عدن بعد طرد الابوين الاوّلين منها . وذكر الملائكة الثلثة الذين نزلوا ضيوفاً مكرَّمين على ابراهيم الخليل (تك ١٨) ثم الملاكين اللذين انذرا لوط واسرتهُ بحلول غضب الربّ على سدوم (تك ١٩) ثمّ الملاك الذي افرج كربة هاجر واسماعيل في البرّية (تك ٢١) . ثمّ الملاك الذي اوقف يدَي ابراهيم عن ضرب ابنه اسحاق (تك ٢٢) ثمّ الملائكة الذين رآهم يعقوب يرقون سلّماً سريّاً وينحدرون منهُ (تك ٢٨) . ثم الملاك المتقدّم في طريق بني اسرائيل ليرشدهم الى ارض الميعاد (خروج ١٤ : ١٩ و ٢٣ : ٢٠) ثم الملاك المصرّح ليشوع بن نون بانهُ قائد جيش الربّ (سفر يشوع ٥ : ١٣) . ثمّ الملاك الداعي جدعون الى خلاص امتهِ (قضاة ٦) . ثمّ الملاك المبشر بمولد شمشون وبدعوتهِ (قضاة ١٣)

ولو تتبّعنا بقيّة تاريخ بني اسرائيل في عهد الملوك رأينا ملاكاً يقوت الياً النبي في البرّية (٣ ملوك ١٩ : ٥ — ٧) وعايناً الملائكة ينقذون السامرة من ايدي ملك الشام (٤ ملوك ٦ : ١٥) وشهدنا ملاكاً يعمل سيفهُ في جيش سنحاريب فيبدّد شمل الاشوريين (٤ ملوك ١٩) . ومن منّا يجهل قصة طوبيّا البارّ والملاك رافائيل رفيق ابنهِ الى بلاد ماداي وظهور الرافيم ليطهر شفاه اشعيا النبي (اشعيا ٦ : ٢ — ٧) وكشف الملاك جبرائيل لدانيال النبي (٨ : ١٦) عن زمن مجيء المسيح

والعهد الجديد لا يحيد ذرّةً في هذا الصدد عن مرويّات العهد القديم . افليس الملاك جبرائيل الذي انبأ زكريا بميلاد يوحنّا وبشر مريم العذراء بالسيد المسيح ؟ اليس الملائكة الذين اوعزوا الى يوسف بان يذهب الى مصر ليخلص الطفل الالهي من غضب هيرودس ثمّ تقدّم اليهِ بالرجوع عند وفاتهِ وبكنى الناصرة ؟ ألسنا نراهم بعد ذلك في آلام السيد المسيح اذ ظهر واحد منهم للربّ في بستان الزيتون ليقوّيهُ (لوقا ٢٢ : ٤٣) ثمّ في قيامة المسيح يبشرون تلاميذهُ بهذا الخبر المبهج . ونراهم بعد صعود الربّ يعزّون التلاميذ (اعمال ١) ويكسرون اغلال بطرس ويفتحون ابواب سجنهِ (اعمال ١٢) ويعهدون اليهِ معموديّة الامم (اعمال ٨) وينشطون قوى

بولس في غضون سفره بحرًا (اعمال ٢٧) ويميطون ستر الغيب عن اعين يوحنا الحبيب (سفر الرؤيا)

فترى انَّ شهادة اصدق المؤرخين متواترة منذ خلقة الابوين الاوَّلين الى زمن الحواريين في اثبات وجود الملائكة . فجاءت شواهدهم مؤيدة لما يتبادر الى حكم العقل السليم ولمَّا اتفق عليه رأي كل الشعوب . فهي اصوات ثلثة توافقت على هذه القضية البينة والحقيقة الراهنة لا يستطيع ارباب العلم الاضراب عنها وتصميم سمعهم دونها . ومنها تتضح سخافة اولئك الكتبة العصريين المتشدّقين الذين يسخرون باهل الدين لاعتقادهم وجود الملائكة وينسبون عملهم الى الخرافات

٢ الملائكة بازاء الدين

فان كان العقل النيّر والذهن الصائب لا يجد في حقيقة وجود الملائكة ما يُستغرب دَعْنا نتخطى الآن الى ما يُعلمنا الدين المستقيم من امر اولئك الارواح وصفاتهم واحوالهم المختلفة . فترى كم يفيدنا الوحي الالهي الذي يوسع المعارف البشريَّة ويهدي الامم الخانعة لهُ الى حقائق ما كانت لتدور على خلدهم وتخطر على بالهم فيعقلها الانسان بعلم اصدق واثبت من العلوم الطبيعيَّة نفسها

١ ﴿ اسماء الملائكة ﴾ قد دعا الكتاب الكريم الملائكة باسماء مختلفة تدلُّ كلها على عظم شأنهم وسموّ مقامهم . فسمَّاهم بالارواح حيث قال داود في مزاميره (١٠٣ : ٢٠) « باركي يا نفسي الربّ . الصانع ملائكتهُ ارواحاً » وكذلك قال بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين (١ : ١٤) « اليس الملائكة جميعهم ارواحاً تُرسل للخدمة » . وقد دعاهم أيوب (١ : ٦ و ٢ : ١) « بني الله المائلين امام الله » : ويُدعون في انجيل متى (١٨ : ١٠) « بسكَّان السماء » كما يدعوهم النبي داود (مز ١٠٣ : ٢١ و ١٤٨ : ٢) « بقوَّات الربّ » وجنود العلي » . وكذلك يدعوهم سفر اخبار الأيام الثاني ١٨ : ١٨ وسفر نحميا (٩ : ٦) « بجند السماء » . وكل هذه الاسماء تشير الى رفعة قدرهم وخواصهم الراقية فوق البشريَّة . وانَّما اسمهم الشائع انما هو « الملاك » ومعناه في العربيَّة وبقيَّة اللغات السامية « المُرسَل » دلالةً الى مهمتهم الخاصَّة بان يكونوا رُسُلاً للعلي ينفذهم الى كل الخدم المنوطة بجلالهِ تعالى

ولم يُذكر من اسماء أعلام هؤلاء الملائكة غير ثلاثة اعني ميخائيل كرئيس جند السماء " (دانيال ١٠ : ١٣ ورؤيا ١٢ : ٧) ومعنى اسمه " مَنْ كالله " . ثم جبرائيل اي قوة الله (دانيال ٩ : ٢١ ولوقا ١ : ١٩ و ٢٦) ثم رفائيل اي شفاء الله (طوبيا ١٢ : ١٣) وقد وردت اسماء غيرهم من الملائكة في الكتب غير القانونية والاسفار الموضوعة واناجيل الزور كجرمئيل واورونيل وغير ذلك مما ليس تحته كبير امر

٢ في تكوينهم ارتأى بعض قدماء الفلاسفة الوثنيين او المبتدعين ومن جملتهم ابن رشد ان الملائكة متصفون بالتقدم موجودون منذ الازل اما مستقلين بالوجود عن الله سبحانه وتعالى واما صادرين عنه منذ الازل . وكلا القولين باطل لان الله عزّ وجلّ هو وحده واجب الوجود موجود بذاته وكل ما سواه محدث والمحدث معلول لا بُدَّ له من علة تخرجه من العدم الى الكون . فالملائكة اذن خلائق الله أبدعهم بمشيته وخوّلهم جوهرهم وكيانهم . اما الزمن الذي جرى فيه تكوين الملائكة فالآراء فيه متباينة والاسفار الالهية لم تصرّح به وانما تشير الى ان ذلك الامر حصل قبل خلقة الانسان في بدء تكوين العالم ويرجع مفسرو الكتب المقدسة كون موسى نوّه بخلقة الملائكة في مفتتح سفر التكوين حيث قال : " في البدء خلق الله السماء والارض " فقوله " السماء " يشمل الملائكة سكان السماء وزينتها . وزاد دستور الايمان في نيقية تصريحاً بقوله : " نؤمن بالله واحد . . . خالق السماء والارض جميع الذي يُرى وما لا يرى " فنظم الملائكة في عداد الامور الخارجة عن دائرة عالم الحسّ . وقد اثبت ذلك المجمع اللاتراني الثالث سنة ١٢١٥ فحرم البابا لوقيوس الثالث الذين ينكرون " انّ الله في بدء الزمان خلق من العدم كلّ الكائنات المنظورة وغير المنظورة والخلائق الروحية اي الملائكة والجدية اي العالم الهيولي والخلائق الناطقة المشتركة بينهما اي الطبيعة البشرية " وقد نقل المجمع الفاتيكاني قول المجمع اللاتراني واثبته سنة ١٨٧٠

٣ في عددهم لم تذكر الاسفار الالهية عدد الملائكة وما يمكن العقل ان يرتئيه بالاجمال انّ هذا العدد لا يحيط به احصاء بشر فلا بُدَّ ان يكون وافراً جداً . وذلك اننا نرى اعمال الله متناسبة اذ صنع كلّ شيء على قول سفر الحكمة (١١ : ٢١) " بمقدار ووزن وعدد " فان كان عالم الاجساد المادي المنظور قد توفّرت فيه

المخلوقات المتنوعة التي لا يحصيها غيرهُ تعالى أفليس الاحرى ان يكون عالم الارواح وهو اشرف من العالم الهيولي ممتازاً بوفرة العدد والانواع التي تنطق بعظمة الخالق وقدرته غير المتناهية. وفي الواقع قد رمز في الكتب المنزلة الى هذا العدد البالغ. فانَّ السيد المسيح ذكر في انجيل متى (٢٦ : ٥٣) انهُ يستطيع ان ينال من ابيهِ « اكثر من اثني عشرة جوقة من الملائكة ». ورأى منهم يوحنا الرسول في جليانهِ (٥ : ١١) « ربوات ربوات والوفٌ الوف » وكان دانيال (٧ : ١٠) قبل ذلك رأى في خدمة الربّ الالهِ « الوف الوفٍ يخدمونهُ وربوات ربوات واقفين بين يديهِ ». ومن هذا يتضح انَّ عدد الملائكة يفوق كلّ احصاء. وانَّ الله وحدهُ يحيط بعددهم

٤ ﴿ طبيعة الملائكة ﴾ قد غُرَّ بعض الكتبة الاقدمين بزاعم افلاطون وباقوال كتب دينيَّة ظنُّوها منزلةً كسفر اخنوخ ورؤيا آدم فجعلوا الملائكة مع تجرُّدها عن الجسم غير مجرَّدة عن المادة فزعموا انَّها حاصلة على مادة هوائيَّة او جوهر هيولي لطيف تستعين بهِ على العمل وبلغ التطرُّف ببعضهم الى ان نسب الى اولئك الارواح معظم الافعال البشريَّة من اكل وشرب وزواج مستندين في ذلك الى بعض آيات الكتاب المقدَّس التي اساؤوا فهمها او حملوها على غير معانيها. وما اجمع عليهِ علماء الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ مئين من السنين انَّ الملائكة ارواح صرفة لا يخالطها شيءٌ من كدورة المادة. ومن ثمَّ ينكرون انَّ هذه الارواح مركبة من صورة ومادَّة كموالید الكون وانَّها تعمل اعمالاً حيويَّة في الاجسام وانَّها تحلّ في المكان بملأة اجزائهِ او تتَّصف بالقوى الشهوانيَّة والغضبيَّة لان كل ذلك خاصّ بالمادَّة والارواحُ العلويَّة مجرَّدة من كل مادَّة. وتجرُّدها هذا لا يجعلها في رتبة الله سبحانهُ وتعالى لانها بعيدة عن كمالهِ من وجوه متعدّدة فانَّ قواها محدودة محدّثة مقيَّدة بخلاف الخالق الذي لا يحدُّهُ زمان ولا مكان. وكذلك في جوهر الملائكة نوعٌ من التركيب بما فيها من الفعل والقوَّة المتعاقبين اما الله عزَّ وجلَّ فهو وحده فعلٌ محض

اما نصوص الكتب المقدَّسة التي تنسب بعض الاعمال الماديَّة الى الملائكة ففيها نظر فمنها ما لا يعني الملائكة كقول سفر التكوين (٦ : ٢) « انَّ بني الله دخلوا على بنات الناس » فليس المراد ببني الله الملائكة كما ظنَّ البعض ولكن

ابناء شيث الذين كانوا صالحين ثم استسلموا للشهوات اما الملائكة فيعلون فوق هذه الشهوات علوًّا كبيرًا وسوف يشبههم الابرار في القيامة كما قال السيد المسيح (متى ٢٢ : ٣٠) : « انهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوّجون ولكن يكونون كملائكة الله » — ومن هذه النصوص الكتابيّة ما يصح عن الملائكة على طريقة المجاز اذ اتخذ بعضهم باذن الله اجساماً مستعارة لما ظهروا للبشر كرافائيل الملاك الذي رافق طوبيًا متقنعاً بصورة جسديّة فاظهر في كل حركاته وسكناته واكله وشربه انهُ انسان مثلهُ لكنهُ صرّح لهُ بعدئذٍ (طوبيا ١٢ : ١٩) انَّ ذلك انّما كان مجازًا وتلطّفًا فقال : « لما كنتُ معكم كان يظهر لكم اني آكل واشرب وانّما انا اتخذ طعاماً غير منظور وشراباً لا يبصرهُ بشر »

فروحانيّة الملائكة تلوح من هذه الآيات وغيرها كالشمس في رائعة النهار. وبثبوت هذه الحقيقة تثبت حقائق اخرى هي كنتائج لاحقة بها. من ذلك خلود تلك الارواح اذ لا يطرأ عليها فساد يستطيع ان يشوّهها والروح من ذاتها ثابتة الوجود لا يقدر ان يلاشيها غير الله وان كان الله لا يلاشي ذرّة من عالم المادّة مع فساد المادة وتحوّلاتها فما قولك بالارواح غير القابلة للفساد

ثم انَّ هذه الارواح مخلّدة كما هي روحانيّة فلا بُدَّ ان تحيا حياةً جديرة بها اعني حياة شبيهة بالروح الخالق وذلك بعقلها وارادتها. وانّا عقلها يفوق العقل البشري من حيث كماله وسرعة ادراكه وطريقة معرفته وهي لا تحتاج الى ان تستقي معارفها عن المحسوسات فتُجرّدها مثلنا عن المادّة بل تعقلها في ذاتها دون تدريج ودون توسط وتدرك ماهيّات كلّ الاشياء بلا تركيب ولا تفصيل ولا انخداع باعراضها. وكذلك ارادتها تميل طبعاً الى ما يدركهُ عقلها من الخير الكلي ميلًا كاملًا لا يمتزج بكدورة الشهوة كارادة البشر مع حرّيّة الملائكة للاختيار بين الامور المتباينة. على انَّ عقولهم تختلف وفقاً لطبقاتهم فيعقل بعضهم من الحقائق ما لا يعقلهُ غيرهم وكذلك تختلف قوّة ميلهم الى المعقولات على مقتضى ادراكهم لماهيّاتها

٦ ﴿ حالة الملائكة من النعمة ﴾ انَّ الملائكة مع شرف طبيعتهم فوق الطبيعة البشريّة هم بعيدون عن الله بعدًا غير متناهٍ فطبيعتهم رغماً عن خلوصها من كدورة المادّة لا توصلهم الّا لمعرفة الله ومحبتهِ من حيث هو مبدأ لوجودهم

١ صورة السيد المسيح بين ملاكين في كنيسة القديسة إغاثا في رافنّا (نحو السنة ٤٠٠م)
٢ صورة ميخائيل رئيس الملائكة في كنيسة رافنّا من القرن السادس
٣ صورة ملاك الانتصار في ديبتيس رومية
٤ ملاك في يده صليب متوّج من كتاب مخطوط في القرن السادس

الطبيعي وذلك ملائم لطبعهم . امّا معرفة الملائكة لله وتوجّه ارادتهم اليهِ من حيث هو موضوع سعادتهم الابديّة فذلك يفوق طبيعتهم ومن ثمّ يحتاجون الى نعمة خاصّة من الله لتزهلهم لرؤيتهِ تعالى بالذات ويجعلوا بذلك على سعادتهم القصوى

على انّه تعالى لم يخوّل تلك النعمة ملائكتهُ الّا بعد امتحانهم ليتالوا السعادة الابديّة بوجه الاستحقاق فجعلهم بعد خلقهم في حالة يمكنهم فيها ادراك سعادتهم باختيارهم الشخصي وعملهم الخاصّ مع النعمة الالهيّة . ولمّا بلّغهم الله بعض اوامره ليمتحن طاعتهم خام بعضهم عن الخضوع لمشيتهِ تعالى ونشروا راية العصيان وكان زعيمهم ابليس خزاه الله خدع بحسن صفاتهِ ونسي انّ محاسنهُ من كرمهِ عزّ وجلّ فنسبها الى نفسهِ وبخس حقوقهُ تعالى . ثمّ تبعهُ في تمرّدهِ قسم من مشايعيهِ على خلاف ميخائيل وغيرهِ من الملائكة الصالحين الذين انتصروا لله وخنعوا لمشيتهِ وقاوموا الارواح المتمرّدة وبوت تلك الوقائع التي وصفها يوحنّا الحبيب حيث قال (الرؤيا ١٢ : ٧ — ١١) : « حدث قتال في السماء ميخائيل وملائكتهُ كانوا يقاتلون التنين وكان التنين وملائكتهُ يقاتلون فلم يقووا ولا وُجد لهم موضعٌ بعد في السماء فطُرح التنين العظيم الحيّة القديمة المسمّى ابليس والشيطان الذي يضلّ المسكونة طُرح الى الارض وطُرحت ملائكتهُ معهُ » . وقال السيد المسيح مشيرًا الى سقوط ابليس (لوقا ١٠ : ٨) : « اني رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق »

فمذ ذاك الحين نال الملائكة الابرار سعادتهم القصوى برؤية الذات الالهيّة كثواب امانتهم في خدمة الله التي لم يعودوا يستطيعون الحياد عنها الى ابد الدهر ونال الشيطان مع حزبهِ العقاب الذي استحقّهُ بعصيانهِ فانفصل عن شركة الله بل زُجّ في الهاوية وجحيم النار الذي خلقهُ الله لجزاء معصيتهِ فعوقب بالنار الماديّة وهو روح فوق المادّة . على انّ طبيعة الشيطان لم تتغيّر مع ذلك فبقي روحاً مجرّدًا عن الهيولي لم يحرمهُ الله قوى عقلهِ وارادتهِ وان كان منذ سقوطهِ يوجّهها الى الشرّ والأذى الى الطبيعة البشريّة التي يريد اجتذابها الى عصيانهِ ليكون نصيبها كنصيبهِ . الّا انهُ لا يستطيع ان يأتي بضرر بدون اذنهِ تعالى فمن لاذ بهِ وعاذ برحمتهِ نجا من مكايد ابليس خزاهُ الله

هذا ما افادنا بهِ الوحي الشريف عن حقيقة الملائكة الصالحين والاشرار وهو

مطابق لأحكام العقل الصائب والآثار الاجتماعيَّة بين ارقى الامم تمدُّناً وحضارةً فيزيل كثيراً من المشاكل التي لا يحلُّها الملحدون في تاريخ البشريَّة شاؤوا ام ابوا

ولا بأس هنا من الاستطراد في القول لتزييف مزاعم الذين ينكرون وجود الابالسة وينسبون الى الخرافة ما رواه عنهم كتبة الاسفار الالهيَّة . فان آثار اعمال الشياطين ظاهرة بين كل الشعوب الوثنيَّة حتى يومنا . ولا يمرّ علينا سنة دون ان نطَّلع على شيء كثير من ذلك في كتابات المرسلين في الصين والهند ومجاهل افريقية ممَّا تبيَّنهُ اوثق الشهود بالعيان . هذا فضلاً عن تاريخ كل الامم بلا استثناء وان اختلفوا في اوصافهم وتعريف طبائعهم وتبيان خواصهم وجعلوهم في عداد الجانّ والمخلوقات الوهميَّة ولو لم يوجد في زماننا غير خوارق السپرتسم لكانت كافيةً لإثبات وجود الارواح النجسة وتأثيرها في العالم البشري

٧ ﴿ مراتب الملائكة ﴾ سبق انَّ الله يصنع كل شيء بوزن ومقدار . فمن المحال ان يكون خلق ذلك العدد العديد من الارواح الذي نوَّهنا بهِ دون ان يجعل فيهِ نظاماً وترتيباً . والى ذلك تُشير الآيات التي مرَّ ايرادها . فانَّ الملائكة يُدعَون بجيش السماء وبجند الله وبفرق سماويَّة وكل ذلك يثبت وجود نظام تامّ بين الملائكة وفي كل فئة من فئاتهم

ولكن يا تُرى ما هو هذا النظام وهل كشف الله القناع عنهُ نوعاً ليقف الانسان على بعض محاسنهِ . فالجواب على ذلك انَّ الوحي افادنا شيئاً من ذلك ايضاً فان استقرينا آيات العهد القديم والعهد الحديث وجدنا ذكراً لتسع طغمات من الملائكة فذُكر الكروبيين في سفر التكوين (٣ : ٢٤) وغيره من الاسفار المقدَّسة . وذكر اشعيا الشيء السرافيم (٦ : ٢ و ٦) . واورد بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس (١ : ٢١) اسماء اربع طبقات اخرى وهم الرئاسات والسلاطين والقوَّات والسيادات فقال ان السيد المسيح جلس من عن يمين الآب فوق كل هذه الطغمات الملائكيَّة . وكرَّر ذلك في رسالتهِ الى اهل كولسي (١ : ١٦) وزاد على تلك الفئات فئة خامسة وهم العروش فقال : « انَّ بهِ (اي السيد المسيح ابن الله) خُلق جميع ما في السماوات وعلى الارض ما يُرى وما لا يُرى عروشاً كان او سيادات او رئاسات او سلاطين » . وصرَّح يهوذا الرسول (ع ٩) وبولس الاناء المصطفى (في رسالتهِ الاولى الى تسالونيقي

١٣:٤) باسم رؤساء الملائكة . اما الملائكة فاسمهم في كل الاسفار المقدَّسة ورد أطلق هذا الاسم على كل طبقات الملائكة عموماً وان كان خاصاً بادنى طبقاتهم

وهذه الطغمات التسع لها مراتب معلومة يقسمها بعض الآباء واللاهوتيين الى ثلاثة اقسام : قسم اعلى وهم الكروبين والسرافيم والعروش الذين يقربون من جلالهِ تعالى ويقومون بخدمتهِ الخاصة . وقسم اوسط وهم السيادات والقوّات والسلاطين الذين يبلّغون اوامرهُ تعالى الى الفئات التي دونهم ويُظهرون قوّة الله في اعمالهِ الخفيَّة والعلنيَّة . وقسم ادنى وهم الرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة الذين عُهد اليهم خصوصاً امر العالم الهيولي ولا سيما تدبير الانسان الناطق

وهذا القليل الذي نعرفهُ عن الملائكة ورتبهم لا يكاد يبلُّ الغليل حتى انَّ ائمة علماء الكنيسة عدُّوا معرفتنا للملائكة ورتبهم اجرى ان تُدعى جهلاً . وترى الآباء نفسهم لا يتفقون في عدد مراتب الملائكة واقسامها وترتيبها وخواصها . قال اكبرهم واثبتهم علماً واسماهم عقلاً القديس اوغسطينوس في رسالة كتبها الى اوروسيوس(١ : « لا شكَّ انَّ في السماء عروشاً وسيادات ورئاسات وقوّات وانا اؤمن بذلك ايماناً حقًّا وكذلك لا ريب في انَّ بينهم فروقاً ولكن ان سألتني ما هي وباي شيء يختلف بعضها عن بعض اقررتُ بجهلي مهما أدَّى اقراري الى ازدرائك بي بعد ان دعوتني بالملقان الكبير »

٨ ﴿ اعمالهم ﴾ انَّ جهلنا بمراتب الملائكة يتناول ايضاً اعمالهم فلا يمكننا القطع بما يقلّدهم الله من المهن لخدمتهِ او لخدمة الكائنات . وغاية ما يقال عنهم انهم منقطعون الى تسبيح الله واتمام اوامرهِ . قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥) : « انَّ الملائكة . . . لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يُؤمرون طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وانسهم بذكر الله وفرَحهم بعبادتهِ خلقهم الله تعالى على صور مختلفة واقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاتهِ واسكان سماواتهِ »

وقد سعى مع هذا بعض الكتبة ان يعدّدوا اعمال الملائكة ويميّزوا بين مهنهم فميّزوا بينهم حملة العرش الالهي والواقفين على حضرة القدس المستغرقين بجمال الربوبيَّة

---

١) اطلب مجموع الاباء اللاتينيين لمين (Migne P. L. XLII, 678)

والمداومين على التقديس والتسبيح والتهليل والمبلّغين لاوامر العلي والموحين باسراره الى اوليائه والموكلين بالامم والشعوب والجماعات الدينية والكنائس ورؤسا الدين والنازلين بالبركات على الخلائق والصاعدين الى الله بمبرّات البشر وحسناتهم وصدقاتهم وصلواتهم والمهتمين خصوصاً بالمختارين وخدمة سرّ الفداء والمعهود اليهم حفظ نظام العالم والافلاك

فهذه وما اشبهها من الاعمال الشريفة قد اسندها اولئك الكتبة الى آيات شتى وردت في الاسفار الالهية كرؤى الانبياء اشعيا وحزقيال ودانيال وكتاب طوبيا وجليان مار يوحنا الحبيب

٩ ﴿ الملائكة الحرّاس ﴾ واخصّ هؤلاء الارواح بالذكر الملائكة الموكلون ببني آدم المعروفون بالملائكة الحرّاس. ففي الكتب المنزلة ما يثبت وجودهم قال النبي داود (مز ٩٠) « انّ الرب يوصي ملائكته بكَ ليحفظوك في جميع طرقك على ايديهم يحملونك لئلّا تصدم بحجر رجلك . . . انجيه لانهُ تعلّق بي ». وأصرح من ذلك قول متى الرسول عن ملائكة الاحداث (١٨ : ١٠): « احذروا ان تحتقروا احد هؤلاء الصغار فاني اقول لكم ان ملائكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه ابي الذي في السماوات ». ومعظم الآباء في شرحهم لهذه الآية يستنتجون منها حقيقة وجود الملائكة الحرّاس لكافة البشر ولكل من افرادهم نخصّ منهم بالذكر اوريجانس المعلم والقديس يوحنا ذهب والقديس غريغوريوس نيصص والقديس امبروسيوس. قال القديس ايرونيموس في تفسيره (Migne, P. L, XXVI, 130): « ما اعظم شرف النفوس التي خوّل الله كل واحدة منها ان يقوم ملاك بحراستها من اوّل حياتنا الى ختامها »

والحقُّ يقال انّ الله ذا الجود والرحمة لا يذر خليقةً أيّةً كانت دون ان يشملها بعنايته وعناية ملائكته أفيمكنهُ ان يحرم من هذه النعمة اشرف خلائقه الجديّة المدعو بتلك الكون المحسوس مع ما يتهدّد جسدهُ ونفسهُ من المخاطر في كل اطوار حياته. وليس هذا مقصورًا على المؤمنين بل يعمّ كل فرد من افراد البشر. وهذه الحقيقة وان لم تكن من عقائد الايمان الّا انها شائعة بين اللاهوتيين ومعلمي الكنيسة حتى انّ تاركها لا يسلم من الملام. فشكرًا لذاك الاله الجواد الذي انعم علينا بنعمة

كهذه ان يصحب كلَّ فرد منَّا احدُ امراء بلاطهِ السماوي ايرشدنا الى الخلاص وينير عقولنا ويحيد بنا عن الاثم وينشطنا على عمل الخير ويحرّك قلوبنا على الانابة الى الله ويسعفنا في كل حاجاتنا نفساً وجسماً ويرافق روحنا امام الديّان ساعة موتنا

١٠ ﴿ هيئة الملائكة وصورهم ﴾ الملاك كما سبق جوهر مقدّس عن كثافة المادَّة الّا انَّ الانسان مركب من جسد ونفس لا يستطيع ان يُدرك الغير المنظور الّا مجسماً على صورة منظور حتي. فلمَّا اراد ان يمثل لعينيهِ صورة الملائكة فكّر اوّلاً في طبيعتهم المجرَّدة عن الهيولى فسمى المصوّرون بالاشارة الى براءتهم فتارة البسوهم ثياباً بيضاء كالثلج وهكذا ظهروا بعد قيامة المسيح (متى ٢٨ : ٣) وتارة جرّدوهم عن كلّ ثوب دلالةً الى جوهرهم اللطيف المنزّه عن الماديّات والشهوات

ثمَّ افتكر الانسان في حالتهم من المجد ورفعة المقام فرمز عن ذلك برموز مختلفة فصوّرهم في مقتبل الشباب دلالةً على خلودهم وجعل اكليلاً من النور حول هامتهم او الحفهم النورَ اشارةً الى كونهم ارواحاً نورانيَّة او اقامهم في وَقود النار تنويهاً باضطرامهم بحبّ الاله او البسهم الارجوان الفاخر معلناً بسعادتهم ورفعة شأنهم في ملكوت الله

واحياناً كثيرًا تأمّل المصوّر اعمالَ الملائكة فاراد ان يخرجها بصورة محسوسة. فمثّل الملائكة سجودًا وركوعاً امام الحضرة القدسيَّة او صوّرهم باجنحة تنويهاً بسرعة انجازهم للاوامر العلويَّة. وهكذا ظهروا لاشعيا النبي ولحزقيال وليوحنَّا الحبيب. وكثيرًا ما يحتجبون باجنحتهم امام عرش الله هيبة ووقارًا. ومنهم من صوّرهم وبايديهم آلات الطرب يدلُّ بذلك الى تسابيحهم المتواصلة لجلالهِ تعالى. ويصوّرون الحرّاسَ منهم ممسكين بايدي الاحداث ليصونوهم من كل الآفات او يمشون في رفقة الموتى ليدخلوا بارواحهم الى النعيم بعد وفاتهم. وربَّما صوّروا الملاك جبرائيل مبشرًا البتول وبيده سوسنة بهيَّة وصوّروا ميخائيل بهيئة قائد جند يدوس تحت رجلهِ الملاك المارد. وصوّروا رفائيل مرشدًا لطوبيَّا في طريقهِ

فترى انَّ كل هذه التصاوير كإعلان البشر بمعتقداتهم في وجود الملائكة وكاقرار بصفاتهم الجليلة وخواصهم الفريدة

١١ ﴿ اكرام الملائكة ﴾ تقرَّر في ما سبق انَّ الارواح الملائكيَّة مقدَّسة ومتصفة بكل الصفات السامية التي تجعلها مرضيَّةً في اعين الله عزيزةً على قلبهِ وانَّها في رتبة اوليائهِ القديسين. وكلُّ من كان في هذا المقام يستحقُّ الاكرام ويستوجب العبادة كأنَّ الملائكة خلائق مستقلَّة بل كاصدقاء الله واصحاب مبيَّتهِ ولا يقولنَّ القائل انَّ تلك العبادة تبخس حقوق الخالق. فحاشا وكلَّا لانَّ اكرام تلك الارواح والتعبد لها والالتجاء الى شفاعتها في ضيقات الحياة انَّما هو عائد اليهِ تعالى الذي خلقها وخوَّلها تلك الصفات الجليلة. افيقال انَّ اكرام نائب الملك اهانةٌ للملك؟ او ليس هو بالحري واجب نظرًا الى علاقة النائب بملكهِ؟ وقد قال الربُّ غير مرَّة ان كل ما نصنع باحد رُسُلهِ ونوَّابهِ فبهِ نصنعهُ. وزد على ذلك ان للملائكة فضلًا آخر على البشر وذلك حراستهم لهم والاهتمام بشؤونهم الروحيَّة والجسديَّة. فكيف يتغاضى الانسان عن شكرهم وطلب حمايتهم والمجاهرة باكرامهم. افلا يكون تغاضيهِ نكرانًا للجميل؟

وان اعترض المعترض بقولهِ ان الرسول بولس في رسالتهِ الى اهل كولسي (٢: ١٨) نهى عن عبادة الملائكة اجبنا ان كلامهُ هناك عن اكرامهم كآلهة كما كان يفعل الوثنيُّون وبعض المبتدعين من اللاأدريين. وعلى هذا المنوال نهى الملاكُ يوحنَّا الرسولَ عن السجود لهُ في سفر الرؤيا (١٩: ١٠) وقس عليهِ بقيَّة الاعتراضات التي اوردها بعض البروتستانت وهم لم يدركوا معنى العبادة والاكرام كأنَّنا لا نفرق بين واجباتنا الاوَّليَّة للخالق والاكرام الثانويّ للقديسين والملائكة وشتَّان ما بينهما. قال اوسابيوس القيصري في كتاب الايضاح الانجيلي (Migne, P. G., XXII. ٩٩٣): « انَّ لهُ خدَّامًا مقتدرين وقوَّاتٍ قائمة في انجاز اوامره فهؤلاء نحن نكرمهم الاكرام اللائق (κατὰ προσῆκον τιμῶντες) ولكنَّنا نسجد لله وحدهُ ». وكرر ذلك القول في محلٍّ آخر (ibid., XXII, 193) بكل صراحة: « اننا قد تعلَّمنا ان نوقِّر هذه الارواح السماويَّة لاجل شرفها ورفعة مقامها دون ان نخلّ بواجبات عبوديَّتنا لله وحده »

١٢ ﴿ اتفاق الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بخصوص الملائكة ﴾ انَّ الخلاف الواقع بين البيع الشرقيَّة والغربيَّة في بعض حقائق الايمان لم يمسَّ في شيءٍ معتقدهما في اخصِّ القضايا المنوطة بالملائكة فلو استقرينا كل الطوائف النصرانيَّة

من يونان وسريان وقبط وارمن وجدنا تعاليمهم في هذا الصدد متشابهة كما يظهر من نصوص طقوسهم واقوال معلميهم . فكلهم يتفقون في الاقرار بوجود الملائكة وبحقيقة جوهرهم المجرَّد عن الهيولي وكذلك يعتقدون وفرة عددهم واختلاف مراتبهم وسقوط بعضهم ونقيهم من السماء ويقرُّون بكون الآخرين قائمين بخدمة الله ومتممين لاوامره في كل ما يُعهَد بهِ اليهم ويصرّحون بوجوب اكرامهم بالنسبة الى الربّ سيدهم ويخصُّون بعض الاعياد لهذه الغاية . فكلُّ هذه المعتقدات لا تختلف فيها كنائس الشرق عن الغرب مع وجود بعض اختلاف في امور ثانوية تعدَّدت فيها الآراء بين العلماء دون ان تحكم الكنيسة فيها الحكم الفصل . ودونك بعض شواهد من هذه الطوائف تدلُّ على قولنا

فانَّ الكنيسة اليونانيَّة تذكر كل يوم اثنين الملائكة وتطلب معونتهم وفي السواعي دعاء للملائكة وصلاة للملاك الحارس . وفي القدّاس صلاة الى الله تطلب منهُ ان يرسل « ملاك السلام والدليل الامين وحارس النفس والجسد » هذا فضلًا عن عدَّة اعياد في كلندارها لذكر الملائكة

انَّ اقدم الآثار السريانيَّة منذ القرن الرابع مباشرةً بالحكيم افرهط ثم مار افرام وبقيَّة الآباء . وكذلك الطقوس في الكنائس الكلدانية والسريانيَّة والمارونية ومثلها كتب الكنائس النسطوريَّة واليعقوبيَّة مشحونة بذكر الملائكة وامتيازاتها وطغماتهم واعمالها . قال افرهط في ميمرهِ الثامن عشر (طبعة باريس ص ٨٢٧) : « انَّ لله من الخدَّمة العاريين الوف الوف الذين يمجّدون اسمهُ ويعظمونهُ ويصعدون وينحدرون لاتمام اوامرهِ في سرعة البرق . مقامهم في اعلى عليين وكلهم بفم واحد يعلنون بجبروت الله . كلهم مختارون كلهم محبوبون كلهم اقوياء وهم ينجزون مع ذلك اوامرهُ تعالى بخوف وارتعاد . . . كلهم يرددون تسبحة التقديس هاتفين : قدُّوس قدُّوس قدُّوس الرب اله الصباؤوت الارض كلها مملوءة من مجدهِ »

وقد نقل اغاتنج اوَّل مؤرخي الارمن في تاريخهِ كلام القديس غريغوريوس المنوّر عن الملائكة قال : « خلق الله الملائكة في البدء من النور وحلاهم بالضياء الساطعة وخوَّلهم العقل والفهم واتخذهم كخدمتهِ ليبلغوا اوامرهُ عزَّ وجلَّ الى الخلائق الناطقة » . ومثلهُ إزنيك الاسقف في القرن الخامس قد وصف الملائكة كارواح

مجرّدة عن الجسد وخصهم بكلّ خواصّ الارواح نافياً عنهم كل فساد وتغيير وتوالد ونموّ الخ . والكنيسة الارمنيّة كبقيّة الكنائس تستشفع بالملائكة وتكرمهم على حسب مقامهم في صلواتها الطقسيّة

فناهيك بهذا الاتفاق دليلاً قاطعاً على حقيقة تعاليم الكنيسة عن الملائكة وفي الآثار القديمة ما يؤيد هذا التعليم فانّ العلّامة البندكتي دون لوكلارك (H. Le clercq) جمع في معجم الآثار النصرانيّة (Dictionnaire d'Archéologie chrétienne) كتابات قديمة وتصاوير مختلفة يرقى بعضها الى القرن الثاني او الثالث وُجدت في دياميس رومية وبلاد لا تدع شكّاً في معتقد قدماء النصارى بوجود الملائكة وسائر امتيازاتهم فعليك بها

وفي الختام نكرّر ما افتتحنا به مقالتنا انّ نكران بعض الكتبة الحقائق المنوطة بالملائكة ونسبتها الى الاختراعات والخرافات ادلّ دليل على سخافة عقل اولئك المتحذلقين وجهلهم المطبق اذ لا يتجاوز عقلهم دائرة المادّة فيحصرون العالم كلهُ مع عقلهم في هذا النطاق الضيق انارهم الله

مقالتان قديمتان في قوس قزح

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوطِئَة

انّ العرب الذين تغلّبوا آثار اليونان والسريان في علم الهيئة ووصف الكواكب وحركات الافلاك لم يخلفوا لنا الّا شيئاً قليلاً عن الظاهر الجوّية كالحرارة والبرد وثقل الهواء والامطار والثلوج . ولعلّ السبب انّهم لم يعرفوا تلك الآلات اللطيفة التي وضعها علماء القرون الاخيرة كالترمومتر والبارومتر ومقاييس الامطار والاهوية . ومن ذلك قوس الغمام المعروف بقوس قزح فانهم لم يكتبوا فيه الّا القليل الزهيد وذلك غالباً في اثناء كلامهم عن المناظر والبصريّات وقد راجعنا قوائم المخطوطات العربيّة في المكاتب الاوربيّة وغيرها فلم نجد بينها ذكراً لقوس قزح

الّا فصلًا للحسن بن الحسن بن هيثم في مناظره نقلهُ الى الالمانيَّة احد اعضاء المجمع العلميَّة الاستاذ فيدمان (Eilhard Wiedemann) (١). وكذلك وجدتُ في ترجمة ابن الهيثم لابن ابي اصيبعة (٢ : ٦٠) وفي تاريخ الحكماء لابن القفطي (ص ١٦٧) ذكر رسالة في الهالة وقوس قزح يظهر انها اليوم مفقودة

وعليهِ سرَّنا اننا وفقنا في كتابين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة على رسالتين عن قوس قزح. فالرسالة الاولى تحتوي على سبع مقدِّمات لتعريف قوس قزح تاريخ كتابتها في احدى النسختين سنة ١١٣٩ (١٧٢٦م) والاخرى لا تاريخ لها ولكنها اقدم عهدًا كما يُرى من مجموع رسائل هناك في الحساب والهندسة وهي الرابعة في الرتبة (ص ٨٠ – ١٨٣). وفي كلتيهما لم يُذكر اسم المؤلف ولعلهُ هو ابن هيثم عينهُ المتوفى سنة ٤٣٠ ه (١٠٣٩م)

امَّا الرسالة الثانية فهي تابعة للرسالة الاولى في المجموع المذكور (ص ٨٢–٨٥) وهي ايضًا خلو من التاريخ ومن اسم المؤلف. وفي آخرهما « لمولانا حسام الدين » دون زيادة في التعريف. وفي كل من الرسالتين شكل مصور نقلناها هنا واحدًا من كل نسخة

ومن يطلع على هاتين الرسالتين يتحقق انَّ العرب احسنوا في شرح وقوع قوس قزح وسببهِ وكانوا يجهلون وقتئذٍ ما اثبتهُ العلامة بيوتن سنة ١٦٧٠ انَّ نور الشمس الابيض يتركب من سبعة ألوان يمكن تحليلها بالموشور وانَّ هذه الالوان تتحلل في قطرات السحاب. ومن اراد تفصيل ذلك فليطلع بمقالتين محرَّرتين نشرهما سابقًا في المشرق (٣ (١٩٠٠) : ٢٤١, ٢٩٩) حضرة الاب الكبير مالون اليسوعي

وقد اتبعنا في نشر المقالتين اقدم النسختين المكتوبة منذ نحو ٣٠٠ سنة ونقلنا في ذيل المشرق روايات المقالة الاولى عن النسخة الثانية التي وسمناها بحرف « ن ». وفي عجائب المخلوقات للامام زكريَّا القزويني (ص ٩٨–١٠١) فصل حسن في الهالة وقوس قزح يشبه في بعض اشياء المقالتين التاليتين فليراجع

(75) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيه وآله اجمعين

امَّا بعد فهذه مقدِّمات (٢ يُحتاج اليها في معرفة قوس قزح (٣

---

١) اطلب نشرة العلوم الطبيعيَّة والطبيَّة في ارلنغن — (Sitzungsberichten d. phys. mediz. Societet in Erlangen, b. XLII, 1910, p. 49-57)

روايات عن نسخة (ن)

٢) مقدّمات سج ٣) زادت ن : الى معرفتها

﴿ المقدّمة الاولى ﴾ منها في بيان الانعكاس . وهي انهُ اذا وقع الضوء من جسم مضيء على جسم صقيل (١ انعكس ذلك الضوء] من ذلك الجسم الصقيل الى جسم آخر (٢ وَضعُهُ من ذلك الجسم الصقيل (١ كوضع الجسم المضيء من ذلك الجسم الصقيل (١ بشرط ان لا يكون جهتهُ مخالفة لجهة الجسم المضيء (٣

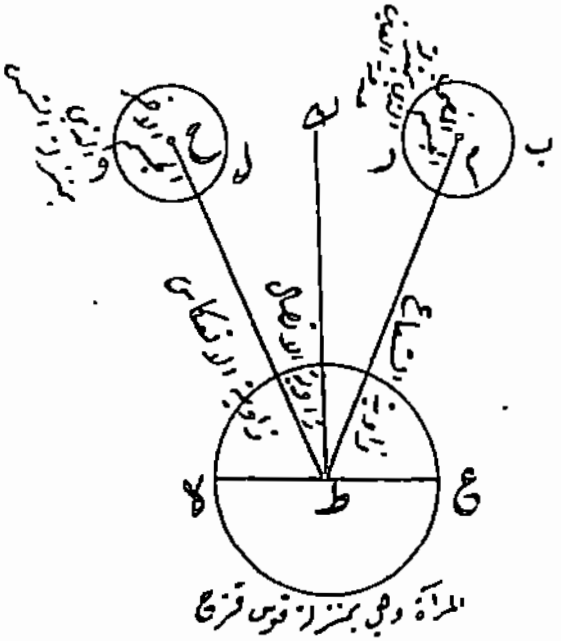

المرآة وهي بمنزلة قوس قزح

ويلزم ان يكون زاوية الانعكاس مساوية لزاوية الشعاع . ولنعمل لذلك شكلًا يتصوَّر منهُ (٤ : وليكن (٥ دائرة ب ر هي الجسم المضيء ودائرة ع ه هي المرآة و ع ط ه وتَرَها (٦ و ل ر (٧] هي الجسم الآخر (٨ والخطّ الشعاعي الواقع من الجسم المضيء على سطح المرآة وهو خطّ م ط والشعاع المنعكس من

روايات عن نسخة (ن)

١) صيقل (كذا)
٢) منهُ الى جسم آخر يكون
٣) زادت ن : و ح
٤) زادت ن : وهو هذا
٥) وليكون (كذا)
٦) وتَر فيها
٧) ودائرة ح
٨) هي الجسم الذي وضعهُ كوضع الجسم المضيء

سطح المرآة الى الجسم الذي وضعهُ من المرآة كوضع الجسم المضيء من المرآة هو خط ط ح فتكون زاوية م ط ح زاوية الاتصال وزاوية م ط ع زاوية الشعاع و ح ط ه زاوية الانعكاس والامام يسمّي زاوية الاتصال بزاوية الشعاع. وقد عُلم بالاستقراء انّ زاوية الاتصال تساوي (١ لزاوية الانعكاس. هذا اذا كان الخطّ الشعاعي الواقع من الجسم المضيء على سطح المرآة غير قائم عليه واما اذا كان قائماً عليه كخطّ ك ط فان انعكاس الشعاع ايضاً يكون على ذلك الخطّ بعينه

﴿ المقدّمة الثانية ﴾ في بيان انعكاس شعاع البصر (٢ الحالّ في انعكاس الشعاع ايضاً كالحالّ في انعكاس الضوء لانّا اذا فرضنا خروج خطّ شعاعي من وسط الحدقة الى المرآة فلا يخلو امّا ان يكون ذلك الخطّ الشعاعي قائماً على المرآة او لم يكن. فان كان قائماً عليها انعكس الخطّ الشعاعي على الرآئي وان لم يكن قائماً عليه انعكس الخطّ الشعاعي الى كل شيء وضعهُ من المرآة كوضع الحدقة منها ورُؤي كلّ ما بين الخطين اعني الخطّ الشعاعي والخطّ المنعكس في المرآة وما لا يكون بينهما فلا يُرى البتة وفي الشكل المسطور (٣ في المقدّمة الاولى يتصوّر على ان يكون دائرة ب ر هي الحدقة والبوائي (٤ مجالها (71).

﴿ المقدّمة الثالثة ﴾ انّ المرآة اذا كانت صغيرة لم يظهر فيها أشكال المرئيّات بل الوانها لانّ الجسم لا يُرى مشكلاً (٥ الّا وهو بحيث يقسمهُ الحسّ (٦ واذا كان كذلك فكيف يُرى مشكلاً ما (٧ لم ينقسم في الحسّ. واذا عرفت هذا فاعلم انّ المرآة الصغيرة امّا ان يكون (تكون) مفردة اي واحدة او اكثر (٨ فان كانت مفردة فربّما لا يُرى ما تؤدّيه من اللون (٩ ايضاً. وان كانت كثيرة متلاقية إدّت كل واحدة منها اللون (١٠ ولم يؤدّ واحدٌ (١١ منها الشكل. وقوله في الملخص (١٢

روايات عن نسخة (ن)

١) متساوية ٢) الشعاع البصري
٣) المذكور ٤) فالبوائي
٥) متشكلاً ٦) الحس (كذا) ٧) فيا
٨) كثيرة ٩) تؤذايه (كذا) من الوان
١٠) شيئاً من اللون ١١) واحدة ١٢) الملخّص كتاب في علم الهيئة

« فاتصل (١ من جملتها من تأدية (٢ اللون ما لو كانت متصلة متحدّدة (٣ لأدّت الشكل مع ذلك » معناه انه لو حصلت (٤ من مجموعة (٥ المرايا الكثيرة المتلاقية التي كل واحد (٦ منها صغيرة مؤدية اللون (٧ المرئيّ دون الشكل (٨ جملة أمتصلة ومتحدّدة (٩ اتصالاً حقيقيًا لأدّت مع ذلك الاتصال الشكل واللون معاً

﴿ المقدّمة الرابعة ﴾ المرآة اذا كانت ملوّنة لا يؤدي (تؤدي) لون المرئيّات كما هو بل لوناً متوسطاً بين اللونين اعني لون المرآة ولون المرئيّ. مثلاً انّ لون الكافور اذا كان في الزجاج (١٠ الاخضر فانهُ لا يُرى (١١ بياضهُ بل يُرى على لون متوسط (١٢ بين الخضرة والبياض

﴿ المقدّمة الخامسة ﴾ صور (١٣ المرئيّات غير منطبعة في المرآة والّا لكان لتلك الصور (١٣ مقدار معلوم (١٤ في المرآة ولمّا كانت تنتقل (١٥ في المرآة بانتقال الناظر والمرآة ساكنة وكل واحد من اللازمين باطل (١٦ بل ادراكها على سبيل الخيال. ومعنى الخيال هو ان تجد (١٧ شبح شيء مع صورة شيء آخر كما تجد (١٨ صورة الانسان مع صورة المرآة ثم لا يكون لتلك الصورة انطباع حقيقي في مادة الشيء الثاني الذي يؤدي تلك الصورة ويرى (١٩ منها كما انّ صورة الانسان غير منطبعة في المرآة لما بيّنا في الوجهين

﴿ المقدّمة السادسة ﴾ الجسم الصقيل (٢٠ الذي يقع عليهِ شعاع البصر اذا كان شفّافاً ورؤي (٢١ مشفًا بالفعل لم يمكن ان يُرى عليهِ هذا الخيال وان رُؤي

روايات عن نسخة (ن)

١) فما حصل
٢) عمّا تؤديه
٣) ومتّحدة (صواب)
٤) انهُ حصلت
٥) مجموع
٦) واحدة
٧) للّون
٨) شكلهِ
٩) لو كانت متّصلة متّحدة (صواب)
١٠) ان ارى لو كان الكافور في الزجاج
١١) لا يؤدي
١٢) يؤدي لوناً متوسطاً
١٣) صورة
١٤) مقرة معلومة (كذا)
١٥) ينتقل
١٦) بطه (؟)
١٧) انّ الحسّ يحسّ
١٨) تجمع
١٩) وترى
٢٠) الصقيل
٢١) فأري

عليه هذا الخيال لم يبقَ مشفًّا بالقياس الى ما وراءهُ وان كان وراء الجسم الشفّاف الصقيل (١ جسم آخر ذو لون أدّى اللون وان لم يكن وراءهُ جسم لم يؤدّهِ (٢

﴿ المقدّمة السابعة ﴾ اذا كانت النسبة بين الراني واجزاء المرآة في الوضع نسبة (72) واحدة وكذلك النسبة بين كل واحدة (٣ من اجزاء المرآة وبين المرئي في الوضع واحدة كانت الزوايا التي تحدث من خطوط شعاعيّة تتوهّم خارجة من البصر الى المرآة ا ومنعكسة من المرآة (٤ الى شيء (٥ ذي الشبح زوايا متساوية ويكون بمثل (٦ الشكل المرتسم من زوايا الشبح الى المرتسم من الخطوط الشعاعيّة الخارجة من البصر الى المرآة المنعكسة منها الى المرئي مستدير كأنّ (٧ هذا الشكل أُدير على نفسهِ بان يحيط الخطّ الذي بين (٨ الشيء ذي الشبح ا والراني ثانياً الوضع (٩ ويدار عليهِ الشكل لأنّ التجربة ا انّما تقع فيما نسبتهُ كنسبة المرئي الى المرآة فقط (١٠ واماً كل واحد (١١ من الراني والمرئي فكشيء واحد غير منقسم فيكون كل واحد (١١ منهما مكان طرف المحور اعلى المرآة (١٢

فهذه جملة ما يحتاج اليها من المقدّمات ا وبراهينها (١٣ مذكورة في علم المناظر (١٤ وشرح الملخص (١٥ (تمّ)

روايات عن نسخة (ن)

١) الصيقل (كذا) ٢) لم يؤدي (كذا) ٣) واحد
٤) هاتان الكلمتان سقطتا من نسختنا وهما في نسخة ن
٥) الشيء ٦) تمثيل
٧) مستديراً وكانّ ٨) من
٩) هذا سقط من نسخة ن
١٠) كذا في النسخة ن . اماً النسخة الاصليّة فمغلوطة وهي تروى : انما يقع فيها كلة على المرآة فقط ١١) واحدة ١٢) للدائرة
١٣) لم تُرَ في النسخة الاصليّة
١٤) المناظرة (غلط)
١٥) في آخر نسخة ن : تمّت الرسالة سنة ١١٣٩ (١٧٢٦م)

المقالة الثانية في قوس قزح

(73) بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انَّ الاحساس بقوس قُزح على ما قالوا يتوقَّف على امور كوقوع الاجزاء الرشيَّة (كذا) الشفَّافة فوق الافق في مقابلة الشمس قريبة من الافق [1] وكونها متقاربة تُرى متصلة وغير متصلة لئلَّا يزل (١ . وكونها قدَّام جسم كثيف ينعكس عنها الاشعة الواقعة عليها . وكونها (٢ بحيث ينعكس الشعاع البصري من كل واحد من تلك الاجزاء الى الشمس بحيث يتساوى زاوية الشعاع والانعكاس . وهذه الامور كلها يُعلم (تُعلم) بادنى تأمُّل بل بدونهِ الَّا هذا والامر الذي سنذكرهُ فانهما امران يحتاجان الى بيان ونحن بعون الله وحسن توفيقهِ نبين كلًّا منهما على وجه لا يبقى منهُ للناظرين حجاب ولا للمبصرين نقاب (٣

اعلم انَّ الناظر اذا نظر الى كل واحد من تلك الاجزاء ووصل قسم (٤ الشعاع البصري الى جزء منهُ يحصل هناك زاوية اذ كل جسم وان كان قطرةً كان فيهِ نقطة فاذا وصل طرفُ الخطّ اليهِ لا بُدَّ ان ينطبق على نقطة فيهِ وبقي نُقطٌ (٥ أُخر فوقهُ وتحتهُ فيحصل زاوية لا محالة تحتهُ منهما احد ضلعيها هذا الخطّ والآخر نقطة الجسم فهذه الزاوية الحاصلة هي زاوية الشعاع . وكذا بين كل جزء ايضاً وبين الشمس خطّ مستقيم ضرورة تقابلهما . فلا شكَّ في وقوع زاوية بين هذا (٦ الخطّ وبين ذلك الجزء فوقهُ وفي وقوع زاوية اخرى بينهُ وبين الخطّ البصري وهذه لا حاجة هنا اليها

واذا عرفتَ ما ذكرنا فاعلم انَّ الشعاع البصري الواقع على كل جزء من تلك

١) كذا الاصل والظاهر وقوع تصحيف
٢) لعلَّهُ سقط شيء من الاصل نحو قولهِ: « وكونها كثيرة الاجزاء »
٣) وزاد هنا في الاصل: واما الذي سنذكر فسنذكرهُ اما هذا فاعلم . . .
٤) في الاصل تصحفت الكلمة فروى « قسهم »
٥) في الاصل: نقطة
٦) وفي الاصل: هذه

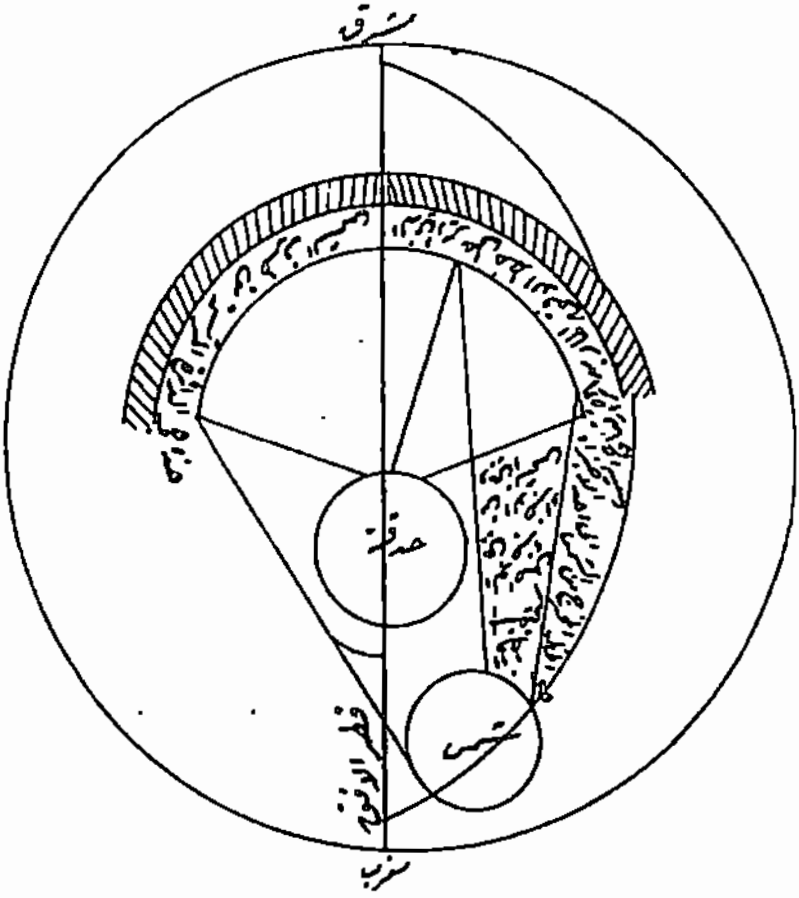

الاجزاء اذا انعكس الى الشمس فعلى قياس ما عرفت يلزم حصول زاوية بين الخطّ المنعكس وبين نقطة ذلك الجزء بلا شبهة. فهذه زاوية الانعكاس. فيجب ان ينطبق الخطّ المنعكس على الخطّ المستقيم الشمسي وزاويتهُ على زاويتهِ وأن تساوي هذه الزاويةُ زاويةَ الشعاع البصري وكونها واقعة على هيئة الاستدارة بحيث لو أدرنا الخطّ الشمسي الواصل الى واحد منها على قطر الافق للزّ بدائرة (74) ارتفاع الشمس لوقع طرفهُ على جميعها. ومعرفتهُ موقوفة على معرفة دائرة ارتفاع الشمسيّ والافق وقطرها ومرورها بدائرة الارتفاع. فالافق دائرة عظيمة تفصل بين ما يُرى من الفلك وبين ما لا يُرى وقطباها حسّي (سمتا) الراس والقدم. ودائرة ارتفاع الشمس وتسمّى

الدائرة الشمسيّة ايضاً (هي) دائرة عظيمة تمرّ بسمتي الرأس والقدم وطرف الخطّ الخارج من مركز العالم الى سطح الفلك الاعلى مساراً بمركز الشمس. فما بين طرف الخطّ والافق هاهنا يسمى ارتفاع الشمس اذا كانت فوق الافق وانحطاطها اذا كانت تحتها (تحتهُ) ولذا تسمّى دائرة لارتفاع وتقطع هذه الدائرة دائرة الافق بنقطتين متقابلتين حسب انتقال الشمس تسمّى كل منها بنقطة السمت. وما بينها وبين احدى نقطتي المشرق والمغرب من الافق يسمى قوس السمت ولظهورها بها يسمى الدائرة السمتيّة. والقطر خطّ ينصف الدائرة. وما يقسمها منصفاً او لا فهو وترها. فقطر الافق المارّ بدائرة ارتفاع الشمس (هو) الخطّ الواصل من نقطة السمت الى نقطة السمت

واذا عرفتَ هذا عرفتَ ما قلنا « بحيث لو أدرنا الخطّ ... الخ (١ » فاذا تمّت الامور ونظر الانسان الى تلك الاجزاء انعكست الاشعة منها الى الشمس ويؤدي كل منها ضوءها دون شكلها لصغرها فيرى قوساً قريبة من نصف دائرة مختلفة الالوان لاختلاف ضوء الشمس مع اللون الظاهر من تلك الاجزاء كما هو معلوم من النظر الى المرآة الملوّنة

فهذا هو البيان الاجمالي الكافي المناسب لما التمس الاخوان ومن اراد الزيادة فعليه بممارسة الكتب. وان اردت ان ترى ما ذكرنا رأي العين فعليك بمطالعة هذه الصورة (ص ٧٤٣) تقف عليها بقدر ما يمكن ان يتصوّر في السطح. وأدم النظر اليها فانك كلما زدتَ نظراً وامعاناً زدت (زادت) حسناً واحساناً (واستحساناً). هذا ما قالهُ الحكماء على ما اشرنا اليه. واما نحن فالاولى بنا ايها المتشرّعة (؟) ان نضرب (75) عن امثال ذلك صفحاً مع انهم قالوا (٢ : ٥ لا ينبغي ان يقال لقوس السماء قوس قزح فان قزح اسم الشيطان » . والله الهادي الى سداد الطريق لمولانا حسام الدين انعم الله عليه

١) هنا المؤلف يشير الى قوله السابق (ص ٧٤٣ س ٤-٦)
٢) يروى هذا في كتب الحديث الاسلامي

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثمّ بهذا الغضون تحرّك الامير بشير على حاكم بعلبك الامير جهجاه وقصد يأخذ منهُ قرية الكرك القريبة لقرية زحله. والكرك المذكورة كان اخذها الامير يوسف شهاب وعمّرها. وكان يحصل لهُ منها نفع كبير. فحينما انعزل المذكور ثمّ قتلهُ الجزار استخلصها الامير جهجاه وهدم منها كل الاماكن التي بناها الامير يوسف وبعده تركوها بيت شهاب لعدم استقرارهم بالحكم بزمان الجزار . ثم حينما اتحد اهل البلاد واظهروا العصاوة على الجزار وطال الامر الى حين مات فكانت هذه القرية التي هي الكرك دايما متصودة في عقل الامير (193) بشير ويجي في باله اخذها. وانما جرجس باز ما كان يمكنهُ اربه ويمنعهُ عنها لان جهجاه بينهُ وبين جرجس باز صداقة كبيرة. فالان حيث قتل فما عاد مانع

فتحرك الامير لنوال مرغوبه. فاوّلاً كتب الى امراء بيت مراد يجمعوا عسكر وينهبوا قرية تمنين من حكم بعلبك. فنهبوها تماماً. وهؤلاء بيت مراد بينهم وبين جهجاه عفونه (عداوة) قديمة. وبغضون ذلك ارسل الامير حسن اخو الحاكم الى بيت حماده متاولة في جبيل وهم اعداء جهجاه لينهبوا بعض مزارع شمال بعلبك ورأس بعلبك ايضاً. ولهذا دخل الوهم على جهجاه وشاف عين الغدر من الامير بشير. وبوقتهِ انعزل ابراهيم باشا من ولاية الشام وتولى كنج يوسف. وحاصل توفيق من المذكور بارسال خلاع حكم بعلبك لجهجاه وصار المذكور في حيرة زايدة ووجل واضطراب. وفكر ان يرضي الباشا كيف كان نوعاً ويأمن على نفسه

وهو بهذا الفكر ومقدم للباشا وسطة اذ شاع وصول مراسيل الامير بشير للشام واعراض للباشا بطلب حكم بعلبك. وبعد ان الوزير ارتضى بارسال الخلاع لجهجاه تغير خاطره وتوقف. فحينما بلغ جهجاه ذلك كبر الوهم عليهِ وصار في حيرة ما لها مصرف. وحالاً نقل هو واخيهِ واعيالهم الى بقعة بسهل البقاع في اراضي بعلبك

وجمع رجاله وصار يشالش من ثار الدم. وكتب الى معتمده بالشام بان يدفع للوزير مهما طلب. وارسل عرضحال للوزير يعلمهُ بما عمله الدروز من النهب والسبي وزاد بالكلام. وارسل حرم واولاد ولطخ ثيابهم بدماء الحيوانات. دعواه ان الدروز وبيت حماده شلحوهم وجرحوهم وعلّموهم ان يبالغوا الباشا بما حلّ بهم

فلمّا نظر الباشا بهذه الاحوال غضب وتغير خاطره على الامير وارسل يتهدده ان لم يرجع كلما انتهب والّا يحضر بنفسه لزحاه يحرق ويخرب ويقتل ويصير شيء لا خير فيه. وانهُ يرفع قارشه (193) عن بلاد بعلبك تماماً

فلمّا وصل البلردي الى الامير تحسب من حدوث شرّ بينه وبين الباشا وبالاخص ان الباشا معين عساكر كثيرة لاجل مصالحه. فخاف الامير على اراضيه بالبقاع من دعس خيل العسكر. فحالًا حرر الجواب بالايجاب وكتب الى امراء بيت مراد يرجعوا كلما نهبوه من تنين وكذلك يحرر لاخيه يامر بيت حماده برجوع النهب الذي نهبوه. وتمّ ذلك بالممكن

وحينئذٍ ارسل الباشا خلعة الحكم للامير جهجاه واخذ روح نوعاً. غير ان المذكور ما لهُ اركان بالشملي وحالهُ ضعيف لا يقدر على مقاومة جبل الدروز. فقصد يأخذ رضى الامير بشير وهكذا لا يمكن يتم الا باعطاه الكرك. وبعد مراسلات كثيرة وكلام كثير وقليل ما امكن يرتضي بالصلح الّا بقرية الكرك تكون لهُ ملكاً. واقتضى ان جهجاه سمح بها غصباً وقهراً وكتب حجتها وارسلها للامير بيماً شرعياً صحيحاً وتحررت باسم ابناء الامير قاسم وخليل وامين. ووكل فيها نعمان بلوكباشي وصارت يد الامير جهجاه مرفوعة عن هذه القرية كليًّا ومضى امرها

ثمّ بهذه الايام تغلظ الامير على امراء صليبا وسبيهُ بلغ الحاكم ان احدهم حسن جاء لهُ مكاتيب من الياس باز الذي حضر من طرابلوس للشام. فارسل الحاكم يطلب المكتوب لينظر مضمونهُ. فتكر ان ما فيه شي بل شرح براني. واعتذر انهُ حين قراه شرمطه. فتناول الحاكم (اخذه الريب) من ذلك وارسل ولده الامير قاسم مع خيل وزلم نحو خمسين نفر. فقبل وصولهم هرب الامير حسن لقاطع بكفيا فتواسط السادة امراء للتن وبعد الجهد انقطع الجرم على المذكور واخوته مبلغ وبما مع الكلف يبلغ خمسين كيس

وبعد ايام مسك الحاكم احمد العيزر متوالي كان شوباصي على قرية شمسطار من قرايا بعلبك تخص اولاد الامير يوسف وضبطها الامير بشير وجاب (194) الشوباصي ووكله بالقرية كما كان. ففي هذه المدة حصل على المذكور وشاية انهُ عمال يكاتب الياس باز واتحاش كتابة من المذكور الى المتوالي شرحهُ مفسدة وعبارات ردية تخص البلاد. فبالحال احضره الحاكم وقصد يقتله فتشفعوا فيهِ انما ضبط جميع ارزاقه. ثم ان الحاكم قصد يقتل الياس باز ولو كان بالشام. ولكن دخل واسطة بجلب رضى الامير عليهِ وتم ذلك. وحضر المذكور لدير القمر واجه الحاكم واشهر خاطره عليهِ وعين لهُ مصروف يكفيه. وكذلك حضر عرب الشلفون والياس اده اصدقا. بيت باز واشهر رضاه عليهم وطمنهم وذهبوا لبيوتهم

ثم بهذه السنة بعد نهاية مادة بيت باز والامارا. بايام قليلة ابتلي الامير حسن اخو الحاكم بمرض ردي وهو دا. الرية وانما في ابتداه بواسطة علاج الحكما. والمداراة كانت اعراضه خفيفة. ولكن فيما بعد اشتد عليهِ وقاسى الاهوال لان مرض الرية مخوف ونقدر نقول ان الذي صار لهُ فهو قصاص من الله تعالى. لان الذي عمله فهو غير مرضي للرب. وبالنتيجة انهُ استقام بالتشويش نحو ثمانية شهور وقاسى اوجاع شديدة حتى انهُ كان يتمنى الموت. وفي شهر اذار تلف حاله وطلب اخيهِ الامير بشير فحضر لعنده لجبيل لان الحكما. شاروا بذهاب المريض لجبيل المناخ اوفق من غزير سيما بوجود الايام الباردة. وهذا صار لامر يقع منهُ اعتبار ان الناس تخاف الله وتخشى قدرته الالهية وانتقامه بنوع العمل. لان هذا الامير حضر لجبيل واستقام بالبرج الذي كان قطن فيه عبد الاحد باز. وحين قرب موته صاح الاربعا في ثمانية عشر اذار سنة ١٨٠٨ موافق شهر صفر سنة ١٢٢٣ فمن الضيق صار يشالش وقام من فراشه واخذ للطاقة الذي كان ارمى حاله منها عبد الاحد باز. وقصد يرمي نفسه. فركض الغلمان منعوه. وبعد برهة وجيزة مات وذهب للاخرة. وكان ذلك بعد عشرة شهور واربعة عشر يوماً من قتل جوجي باز واخيه فاكمل السنة. وانقم عليهِ الامير بشير غمًا عظيماً. ثمَّ نقلوه لقزير وعمل لهُ (194) مناحة عظيمة ودفنوه في تربة ابائه. ثمَّ اعطى نظام وجعل ناظرًا الامير قاسم عوض عمه لان اولاد المانت كانوا صغار والمدبرين معهُ اولاد الدحداح. ثم ذهب لدير القمر مقرّ حكمه وقيل ان

حسن اوصى اخيه قبل وفاته بان يرجع لابناء الامير يوسف رزقهم المظبوط ورجع بعض الرزق للمذكورين ليس كافة

ثم في سنة ١٢٢٤ (١٨٠٩ م) ابتدا بالمناكدة يوسف باشا والي الشام بعد رجوعه من حصار القلعة واخذها وطرد مصطفى بربر في طرابلس . وكانهُ صار مستعز في نفسه ومقتدر فقصد يعطي نظام في اراضي حكمه . من الجملة يرجع الاماكنات والاراضي بالبقاع الواضعين يدهم عليهم الامير بشير وجنبلاط . واتصلت الامور بينهُ وبينهم وسليمان باشا تواسط بينهم وحصل مراجعات كثيرة وهو لا يهجع من مشروعه . وطال الحال واقتضى ان سليمان باشا يشكوه للدولة . واخيراً انقضت معهُ الامور بعزلهِ من ولاية الشام وجاء المنصب الى سليمان باشا المذكور في سنة ١٢٢٥ (١٨١٠ م) وصورة ما صار مقرّر باطن كتابنا هذا

وراقت الاحوال وصار الامير وجنبلاط يعملوا كل ما يريدوه واحكام الجبل استكنت والامير حصل في حرية كاملة ما من يناكف ولا يراجع . ومضى ايام كثيرة الى سنة ١٢٣٤ (١٨١٨ م) مات سليمان باشا والي عكا ودفنوه بالجامع فوق احمد باشا الجزار . وصار وهم عظيم عند حايم وخواص الباشا بسبب مماليك الجزار الذين هم متسلمين في صور وصيدا وبيروت وغيرهم . واما محمد اغا ابو نبوت فانهُ كان في يافا متسلم وحين تلف سليمان باشا عمل حيلة عليه حايم وطرده من يافا . وكذلك علي اغا انفاه من بيروت لتبرص . وبدا حايم المذكور يجتهد بالكتابات لاسلامبول في احضار منصب عكا الى عبدالله بك ابن (195') علي باشا . وبعناء وتعب حتى رضيت الدولة بقيام المذكور . وهذا كان حدث السنّ ولكن فهيماً جسوراً وحايم اعتنى فيه جدًّا . وكان يحبهُ كحب ابوه لهُ وظن انهُ يسود ويعيش مطمأنًا ويحكم بالناس مثلما يريد ابلغ من زمان سليمان باشا . وهكذا باقرب الايام ورد المنصب وتولى عبدالله باشا الحكم بكل حرية وراحة . وحال الجبل بقي كما هو بالاحكام وغيرها لكون الباشا المذكور محجوز ما يمكنهُ يبتّ امرًا او يعمل شيئاً من دون ارادة ورضا حايم المذكور

ثم دخلت سنة ١٢٣٥ (١٨١٩ م) . ففي اواخرها ظهر من عبدالله باشا امور مغايرة وبغضة لنحو حايم ومداقنة بجملة اشياء في ابطال ورفض امور بالاحكام

تصدر من حايم. وكان ملازمين الباشا مسعود الماضي شيخ ضيعه رجل ردي صاحب حركات وملاعيب. وكذلك غيره الناس اردياء. وهم يبغضوا حايم. وصاروا يفهموا للباشا اموراً يتوسوس منها ويبنوا عليه امور الاحكام ويبعدوه عن حايم. والباشا من كونه حدث جاهل سمع كلامهم وحسن عنده اشوارهم. وصار يداقف حايم ويراجعهُ بكل مادة. واتصل للمطاولة معهُ بكلام قبيح ومهين. وحايم انوهم ما هذا التغير وجاهد كثيراً حتى يتلايم عليه بتركه هذا الحمق. وما كان يصير فايدة لا بل يزداد شراً ورداوة في حقه. اخيراً لما اشتدت البغضة بينهما صار المطاومين يزيدوا النار

ثم حسنوا للباشا ان يقتل حايم حيث انهُ ما كان يرتد عن الحضور للخزنة ولا هو مفتكر في عزارة الباشا لهُ. ويفكر انهُ عرض ويزول حيث انهُ مربيه ويعرف سريرته. وثانياً لا بد يرجع لعقله بتصوره النعمة التي هو فيها ولولا سعي حايم ما حصل عليها. وهذا شيء اكيد ما فيه ريب. ولكن على ما يبان ان هذا صار بسماح الله تعالى وهو لغايات من الله تعالى لا ندركها. وبالنتيجة ان الامور تزيد يوماً بيوماً الا انهُ يوماً بعد (1957) العصر حضر الكيخية مع جماعة من خدام الباشا الى خان الافرنج الساكن به حايم واحدروه باهانة لدهليز الخان وبالحال خنقوه وحملوه لجهة البحر ووضعوه في قارب ورموه في ناحية معاومة بالبحر. وثاني يوم قذفه البحر وجدوه على حافة الشط. فصدر الامر يرجعوه ثانياً بالقارب الى ما هو ابعد ويعلقوا في رقبته حجراً ثقيلاً. ورموه واكلهُ السمك وما عاد ظهر ابداً ولا الاثار الى يومنا هذا. ثم من بعد قتل حايم المذكور انفرد الباشا بالاحكام وصار يعمل بعقله ما يريد. اولاً حسن عنده ينشي عدل وسمعة جيدة. فاصدر امر برجوع كل رزق وملك الذي كان ضبطه الجزار بنوع الظلم وذلك في عكا وصيدا وبيروت وكل جهة في حكمه. وبعض الناس استولوا على بيوتهم. ولكن ما طال هذا المشروع لان الباشا ابطل ذلك وابتدأ ينشي المظالم ويفرض مال على اسلام ونصارى وما من يشفع ولا يدفع وضاجت الناس جداً. ثم التفت الى الجبل وطلب من الامير بشير مبلغ مال بخطاب قاسي ممتلي تهكم وكلام جبر. ولما راجع واعتذر الامير اظهر الباشا غضبهُ الشديد وصار يتكلم بحق الامير كلام ردي موجع. وطاشت الامور بينهما وحينما فهم

عامة الجبل انحراف الباشا على الامير قاموا جميعاً ضد الامير مما قاسوا من ظلمه بالمدة السابقة. وبلغ الباشا هيجانهم فما غث عليه. لا بل انهُ ارسل لهم كلاماً مع واسطة الذي جعلهم يطمعوا اكثر . ومالوا الى ناحية الامير سليمان شهاب ومرادهم يولوه عليهم حاكماً

ولما فهم الامير والشيخ بشير جنبلاط قوّة هذا الشر وبغضة الباشا لهم قاموا من البلاد وراحوا لحوران. واقتضى ان الباشا ارسل خلعة الحكم للامير سليمان وايضاً للامير حسن شهاب بن علي

ثم ان الباشا استولى بعض اماكن بالسواحل وهم تبعاً لمقاطعة الجبل. وفهم من دفتر الجبل وهما اقليم الخرنوب لحد دير المخلص وكامل القرايا التي هناك. ثم وغير محلات في بر صيدا. وولج يوسف اغا من اتباعه (196') يحكم بهم ويستولي المري وخلافه. وحيث ان اهل الجبل شاكيين من المظالم التي سبقت وان حالهم صار مضمحل والباشا مراده مال لان الدولة طلبها متصل والتدبير عاجز في عكا لان الباشا احمق وولد وتدبيره خايس وكل يوم يطلب مال من الاماره والمذكورين ما هم عارفين كيف يتصرّفوا في حكمهم. وطالت الايام والامير بشير والشيخ بشير ذاقوا مرايرالصبر في خطرتهم هذه ومقدمين وسايط للباشا. وبعده نظر الباشا انهُ لا يرتاح مع الجبل فارسل لهُ كتابة انهُ يحضر. فحضر حالاً وضبط حكم الجبل والاماره المذكورين لزموا بيوتهم وراق حال الجبل عن الاول

ثم دخلت سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠ م) تحركوا اليهود بالشام اخوة حايم وابن عمهم سلمون بالانتقام من عبدالله باشا والي عكا بسبب قتله حايم

وبغضونها كان والياً بالشام درويش باشا فابتدوا يحركوا الشرور واعرضوا للباشا عن اختلاس مالكانات بالبقاع وظبطهم الامير بشير والشيخ بشير. وحسنوا للباشا يباشر امر رجوعهم لاصحابهم. فصار انهُ ارسل عسكر وكبس القرايا المختصين بالامير والشيخ ونهبوا الفلاحين وصار قتل ايضاً. فاعرض المذكورون لعبدالله باشا والمذكور كتب لدرويش باشا مخصوص ذلك ويرفع قارشه عن هذه الاماكن . وانهُ يتدبر مع الدولة. فدرويش باشا ما اقتنع بل زاد بالانتقام والشر. اخيراً حسن برأي عبدالله باشا انهُ يحارب درويش باشا ويطرده من الشام. ونظراً

الى ملازمته الى حايم منذ حداثته وكان يتطلع على كتابات الدولة وامور الاحكام فالّف فرمان مصطنع بظروفه الكاملة عنوانهُ انهُ منصب الشام جاء لهُ ودرويش باشا معزول. واحضر عبدالله باشا الامير بشير وافهمه مضمون الفرمان انهُ جاء لهُ من الدولة على التحقيق وامره بان يقوم للشام ويحارب درويش باشا ويطرده من الشام. وعين لهُ عسكر عشلي وكاتبه عسكر جبلي. فانطفى الامير من كلامه وصدّق (196) مقالهُ وقام بالعسكر وجاء لارض المزه ودرويش تعجب من ذلك لعدم علمه عن شيء من طرف الدولة. لا بل اعلام الدولة متصلة لهُ. ولكن اقتضى على انهُ يعين عسكر لمحاربة الامير ومن العجلة ما امكنهُ يجمع عسكر كثير فالذي قدر جمعهُ بوقتهِ واطلعهُ للمزه وحصل الحرب بينهم وظفر بهم عسكر عكا والجبل وقتل مبلغ من الجهتين

وبغضون ذلك وصل مصطفى باشا للشام والي حلب. (منهم) من يقول ان حضوره بطلب درويش باشا وغيرهم يقول بامر من الدولة لان في ابتدا الشر اعرض درويش باشا للدولة عن تعدي عبدالله باشا وكلامه الغير مرتب. وانما الوقت قصير كيف كان. والغاية حين وصل مصطفى باشا للشام ونظر الموقعة الردية التي حصلت والامير وعسكر العشلي لا زال باقين بالمزه بعد الوقعة ولكن قرية المزه انتهبت من فلتة العسكر. فحسن عنده يرسل الامير بشير ويسألهُ عن حضوره على اي صورة وان كان معهُ اوامر من الدولة يظهرها عياناً. ثم صار يبرهن ويحقق ان الدولة راضية جدًّا عن درويش باشا وقدم لهُ شواهد كثيرة. فتوجه الواسطة واختلى مع الامير ومن بعد ما افهمه كلام الباشا ثم كلمهُ سرًّا ان الدولة متغيرة جدًّا من نحو عبدالله باشا من ظروف وشواهد كثيرة. فانقبه الامير وصار في دهدار كبير. وثانياً ان مصطفى باشا جاب معهُ عسكر وبسبب الوقعة صدر كتابات لكل جهة باحضار عساكر. والامير دخل عنده شبهة ومزاولة لئلا تكون احوال عبدالله باشا فارغة فبالحال قام الامير بالعسكرية من المزه وراح نواحي حاصبيا واعرض الى عبدالله باشا بما صار وعمّا سمعهُ من مصطفى باشا. فجاء الجواب انهُ يقوم للجبل. وما عاد بان شيء عن طرف عكا ولا من درويش باشا. وانما المذكور اعرض للدولة واخبرهم بكلشيء صار من (197) التعدي وعن خراب قرية المزه. وحينئذٍ اشتهر

غضب الدولة على عبدالله باشا وصدر الامر بعزله من ولاية صيدا. وجاء امر الى مصطفى باشا يكون مساعد والي الشام

ثم أمر الى ابراهيم باشا والي ادنه يقوم للشام مساعد ايضاً. وجمعوا عسكر كفاية وتوجهوا للبقاع وعبدالله باشا ما هو مفتكر كثير ولا هو مبالي فتحصن في عكا واعتمد الحصار. ويكتب للامير يحافظ بالجبل ويمسك الطرقات واعتمد ذلك انهُ يكون متحد مع عبدالله باشا غصباً لشأن تعديه في وقعة المزه. ولكن الشيخ بشير جنبلاط حسب حساب كبير اذا كان يخالف امر الدولة. فصار يشور على الامير يترك عبدالله باشا ويتحد مع الوزراء. ويعملوا طرايق مريحة. فالامير ما سمع منهُ ومصرّ على عزمه مع انَّ بوقتهِ كان يرتاح بكل ما يرغبهُ. لان درويش باشا داخل عليه الوهم من حال الجبل. واذ كان الشيخ بشير عمل كل جهده مع الامير وما افاد لزم اظهر لهُ خاطره انهُ يقدم الطاعة للعثماني ولا يمكنهُ يضادد

فلما شاف الامير هذا الحال خاف من تغرض الاهالي عليهِ فكتب لعكا وطلب انهُ يحضر بيروت لجاه الجواب لا بأس وارسل لهُ مركب ذخيرة لبيروت وامرهم باكرامه ويفرغوا لهُ القناق الذي يريده. وقام الامير من دير القمر برضى مشايخ البلاد ما احد تعارضه وذهب معهُ نحو ستون سبعون نفراً من خواصه وخدمه. ونزل بحرش الصنوبر خارج بيروت. لانهُ حسب خيانة اهل بيروت. لان درويش باشا ارسل لهم اناس خفية يعلمهم اوامر الدولة وانهم يكونوا خاضعين. وهم يرغبون ذلك ولكن خايفين من عبدالله باشا ومنتظرين النهاية. فالامير تحسب منهم فاستقام بالحرش وصار يستجرّ الذخيرة من المدينة

ثم ان الشيخ بشير بثّور ورضى مشايخ البلاد انتخبوا الامير عباس شهاب ليكون حاكماً عوض الامير بشير. وذهبوا جميعاً للبقاع لمواجهة درويش باشا الذي ترحّب فيهم واكرمهم ولبس خلعة فاخرة للامير عباس يكون حاكم الجبل ويكونوا (١٩٧) مطمانين من سايرالوجوه. ورجعوا مسرورين

فلما بلغ الامير بشير بما حصل عزم على الذهاب لمصر وولّج رجل افرنجي اسمهُ اوبين يستأجر لهُ مركب افرنجي لدمياط من بيروت سرّاً. وبالحال قاولوا مركب بخمسة عشر الف غرش وارسله لقرية الناعمة ليلاً وقام الامير للناعمة. وقبل طلوع

الضوّ نزل بالمركب واخذ الذي اراده من جماعته والباقي رجعوا لمحلاتهم . وبوصوله لدمياط راح العلم لوالي مصر . فجاء امر انهُ يذهب الى قرية معلومة لحين يطلبهُ ومضى الامر

ثم ان الوزراء المعلومين قاموا بالعسكر لعكا وعبدالله باشا سكّر بوابات المدينة وصار مراسلات كثيرة بان يسلم لعكا ولم يصر فايدة . وبقي العرض ايام كثيرة ودخلت الايام الباردة وابراهام باشا مرض وتوفي . ومصطفى باشا انكرب جدًّا من قذارة المكان الذي هو فيهِ . ونظر عدم الافادة باخذ عكا . الّا انهُ كان في مدة ايام طويلة ومن ضجره وصغر نفسه كان يشكي من ضجره لبعض من يلقي لعنده من اهالي تلك الاماكن . فصح من قرر لهُ ان كل الذي صاير ويصير هو بسعاية سلمون اليهودي وتدبيره الملعون . والقصد بذلك يأخذ ثاره من عبدالله باشا في قتله حاييم وهذا هو السبب لا غيره . ويريد خراب البلاد والعباد لشأن تنفيذ مرامه

فالباشا انغم غمًّا شديدًا وكبر عليهِ الوهم من موت ابراهام باشا وعن الكدر والقرف الذي هو فيهِ بالاراضي فقام على حمية وراح لعند درويش باشا في صيوانه وصار يتفاوض معهُ بهذه الامور . وربما اظهر ملامه على سلمون والباشا يبرره لانهُ كان يحبه ويميل لتدبيره . فطلبه مصطفى باشا وصار يعاتبه ويسألهُ عن اصول هذا الشر وكيف حتى وصلت الامور لهذه الحالة المرة المكربة . فصار سلمون يظهر انهُ ليس لهُ علم عن شيء ولا اشار بشيء بل شراسة عبدالله باشا ولدت كل هذه المساوي . واما هو فبري من كل تهمة . فراجعه مصطفى باشا واظهر لهُ براهين وشهادات كثيرة التي تؤكد ان كل ما جرى هو بتدبيره . ودرويش (1987) باشا صامت ما تكلم كلمة واحدة . اخيرًا انحنق مصطفى باشا وما امكنهُ يحتمل مداورة سلمون . فقام ومسك بصدر سلمون وقال لهُ : ان كل الغضب منك وعمال تتلاعب بالوزراء ولولا خاطر الذي قاعد لاضربك بهذا الخنجر ارمي مصارينك للارض . شتمهُ كثيرًا ولرماه للارض وخرج لمكانهُ . ودرويش باشا ما احكى شيئاً بل امر يحملوا سلمون الى خيمتهِ الذي كان غمي عليهِ من الوهم . وثاني يوم وقع في حمى ردية وجابوا لهُ حكيم يهودي من ابو عتبه وحكم بالفصاده . فما ارتضى واشتدت الحمى وفي ليلة الاسبوع

مات ودفنوه في ابو عتبه وراح من الدنيا وما استفاد شيئاً غير الاثم والخطا وقصر الأجل

ثم ان الباشا والي الشام ارسل احضر روفاييل فارحي العرّاف من الشام لاجل التدبير عوض سلمون. فبعد ايام قليلة ورد فرمان بعزل درويش باشا من ولاية الشام وذهابه لاكطاهيا. وان مصطفى باشا يكون مقيماً بالاراضي لامر ثاني يحضر لهُ من غير حرب ولا قتال. وبعد ايام حضر امر من الدولة بقيامهِ من حصار عكا ويحضر الشام والياً بها. وشاع الخبر ان الدولة رضيت على عبدالله باشا بواسطة محمد علي وجاء لهُ استقرار بولاية صيدا. واصلاح حال هـذا الباشا كان بوسيلة الامير بشير لان ذهابهُ لمصر كان توفيق عظيم ومحمد علي دائماً يفتش على صالحه. واذ كان حصل على غاية العز والجاه والذي حصل فيهِ ما صار خلافه فوجود الامير بشير عنده صار منهُ نفع كثير لمحمد علي. وربما عمل معهُ رابطة سرية في اخذ بلاد سوريه وانهُ يكون مساعداً لهُ. واذا كنت تعترض وتقول ان بعد حضور الامير من مصر بزمان حتى بدا امر اخذ سوريا. والحال انهُ بوقتهِ كان ابراهيم باشا بالمورا ومشغول الفكر من اشياء كثيرة. وبالنتيجة ان الامير حصل لهُ كرامة زايده من والي مصر وبواسطته انتهت مادة عبدالله باشا

وحضر الامير عكا في شهر رمضان بحرية الكاملة. حتى ان الباشا ما كان يراجعهُ عن شيء. ومهما اراد يتم من غير مانع وطلع للجبل بموكب عظيم والامير عباس ترك الحكم وتوجه لبيته (198) بكل سلامة. اما الشيخ (فانهُ) يرغب يلازم الامير بشير حكم القديم ظناً منهُ ان الامير عذره فيما عملهُ. والحال ان الامير خلاف لان الامير مشغول منهُ جداً. وحين قابلهُ اخذ يده ليقبلها فنفر منهُ

ثم حين وصل نذير القمر وجاءت الناس تسلم عليهِ وجنبلاط من جملتهم فما اعطاه وجه كلياً. وبعد كم يوم ارسل طلب منهُ مال حسب امر عبدالله باشا. ويوصي لحواليهِ يعملوا ثقلة وظهر الغبن والانشمال وشيء ليس لهُ مداواة القلوب نفرت. واقتضى الشيخ نزح من البلاد. غاب اياماً ورجع فات على امارة المتن وطلب منهم يتحدوا معهُ في محاربة الامير ويطردوه من البلاد. فنهم رضيوا معهُ. ثم وصل الى المختاره والتف اليهِ الامير عباس والامير سلمان والامير فارس شهاب وعلي عماد وما

يتبعهم وجملة دروز ونصارى حتى صاروا جمعاً غفيراً. ومن المتن جاء الامير عساف وغيره ايضاً والامير بشير حصل باضطراب كلي. فارسل طلب من عبدالله باشا عسكر وطرح صوت بالجبل. فحضر جانب عسكر وحضر الامير حيدر من صليما وايضاً باقي الامارة وعسكر من قاطع بكفيا ومن بيت شباب. وطلع الحاكم الى سهل السمقانية وابتدا الحرب فيما بينهم

وكانت حروب مشومة جداً وكان الوقت بارداً في عز ايام الشتا. اخيراً اشتدت الامور بينهما ووقع الحيف على عسكر المختارة. وحيث النية ردية فطردهم عسكر الامير ولحقهم بقوة. اناس يقولون بالنهار (ومنهم) من يقول ليلاً. وظفروا بهم ويتراكدوا من قدامهم حين الوقمة الاخيرة. ومنهم ارموا حالهم بالنهر الذي كان طايف بوقته وماتوا

فلما نظر الشيخ والاماره هذا الحال ايقنوا بالهلاك فهرب الاماره لجهة كسروان وجبيل وبشير جنبلاط وعلي عماد وجماعتهم هربوا لجهة حوران والثلج نازل عليهم. وبالحال كتب الامير لعكا صورة ما توقع وترجى الباشا ان يكتب لوزير الشام مصطفى باشا بان يمسك المشايخ في حوران. والعجب انهُ كيف صارت العجلة بتنفيذ المقدور لان المشايخ لما (199) ما بلغوا حوران والكتابات وصلت لعكا وللشام. وحالاً توجه عسكر من الشام نحو ستاية نفر خيالة لحوران وصادفوا المشايخ وتحارفوا في مسكهم من غير شلش وطلبوا يدخلوا بوجاق الدالاتية ولبسوهم ألبق وجابوهم للشام. وقبل دخولهم رفعوا الالبق عن رؤسهم

وبوصولهم للصرايا قبل غروب الشمس باعتين نظرهم مصطفى باشا فصدر امره بقطع راس علي عماد وارسلهُ مع خيال لعكا. البين ان التدبير هكذا. ثم اخذوا الشيخ بشير لعند الباشا وهو بحال الخوف فوبخهُ عن عمله وبعده سجنهُ بالقلعة وحصل في كرب شديد. وبعد ايام طلبهُ عبدالله باشا والامير بشير صار مضطرب جداً من وجود الشيخ في عكا. فكتب الامير الى محمد علي والي مصر ان يلاحظ هذا الامر المهم ويترجى الرجا الكلي ان يكتب لعبدالله باشا يعدم الشيخ. وهكذا تم بوصول العلم من مصر خنق الشيخ بشير وشيخ من بيت عماد ورماهم خارج البوابة. وثاني يوم نظرهم الناس بحال العري طب على وجوههم بحال مهين. وبعد حين امر

بدفنهم . وزال مجدهم وشرفهم والباغي تدور عليه الدوايروكل لهُ دور يصاهُ ولو بعد حين

ثم علي جنبلاط ابن حسن فهذا حين الكون (القتال) حكمهُ رصاص هايف . فاخذوه جماعتهُ الى قرية ليداوره فات والاماره الهاربين ضاق بهم الفضا فجاوزوا البلاد والحاكم يفتش عليهم . فنظروهم في قاطع المتن فسكوهم واخذوهم لدير القمر . وهم الامير عباس وسلمان وفارس من بيت شهاب فحاشهم الامير في اوضة . ثم مساء ارسل لهم بلوكباشي وجماعتهُ كتفوهم واعموا اعينهم بشيش حديد محمي بالنار . ثم بعد عماهم ما شفي قلب الامير بشير منهم بل امر بقطع السنتهم ايضاً . وهذه اتعدّت قساوة وحشيّة . لان القتل اهون من هذا العذاب . فبعد ما قطعوا السنتهم طلب ينظر ذلك فجابوهم لهُ في صحن فوجد منهم لسان قصير قطعهُ ما هو كامل . فتخلق على الباوكباشي وامره بان صاحب هذا اللسان يقطعهُ مليح . وهكذا تم الحال في هؤلاء الساكين وباتوا بالسجن تلك الليلة (199) يالها من ليلة سودا وثاني يوم اخذوهم لبيوتهم وهم عميان خرسان . وكان الناقص يُسكب رصاص في اذانهم فيصيروا طرشان ايضاً . وهذا الذي صار بسماح الله تعالى وهذه الحادثة صارت في سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م)

ومن بعد ذلك حصل الامير بغاية الراحة وضبط رزق الشيخ بشير جنبلاط . ثم عدم بيتهُ المتبر ونقل جميع الرخام والبلاط والاخشاب وكل الآلات الموجودة بالمهار وصار البيت خراب . وربنا متكلف عليه الوف من الف كيس . واولاده وحريمهُ هربوا لحوران . وبعده الاولاد الكبار حاشهم الباشا في عكا وبعده ماتوا في عكا . قيل بالطاعون والاثنين الباقين احدهم راح لاسلامبول والثاني تعين في دولة مصر

تاريخ مجو في موت الشيخ بشير جنبلاط

ان المهيمن باستقامة امره بالعدل جازى من تفاقم شرهُ
واماتهُ الموت المريع لبنيه قتلاً بحدّ السيف ومحى ذكره
في حيث والده موسد جسمهُ في ترب عكا التحق في اثره
ما زال دايم الدهور مخلدا ابو ناكر ونكير ساكن قبره

في شهر شوال المبارك قد اتى خير المسرّة في نهاية عمره
وهلاكه نفساً وجسماً مؤرخاً بجفير نار للعباد وحشره
١٢٤٠ (لهُ بقية)

ميمر
لتادرس ابي قرّة
في وجود الخالق والدين القويم

توطئة

بين مخطوطات دير الرهبانيّة الحليّة التابعة للروم الملكيين الكاثوليك في دير الشير نسخة من ميامر اي مقالات « تادرس » او ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان الشهير الذي تولى طبعها حضرة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلّصي في مطبعة القوائد سنة ١٩٠٥ بعد نشره في المشرق (٦ (١٩٠٣) : ٢٢٢) ذاك الميمر الفريد الذي عنوانهُ صحّة الدين المسيحيّ. وكان حضرتهُ استند في طبع هذه الاثار الجليلة الى نسخة مخطوطة كانت في دير المخلّص تاريخها سنة ١٧٣٥ منقولة عن نسخة قديمة في دير مار سابا الذي قريباً من القدس الشريف كُتبت سنة ٦٥٥٩ لآدم اعني ١٠٥١ للمسيح في جبل اللكام فوق انطاكية

وفي سنة ١٩٠٨ اذ كنّا في دير الشير تلطّف حضرة رئيسهِ المفضال وسمح لنا بمطالعة مخطوطات مكتبة ذلك الدير القديم فوجدنا بينها كتاباً يشتمل بمجموعاً لميامر ابي قرّة فنقلنا فهرس تلك الميامر لنعارضها بالميامر المطبوعة لعلّنا نجد بينها ما لم يُنشر بالطبع. فلم يخب املنا. ودونك نتيجة هذه المقابلة

هذه النسخة المباركة خالية من التاريخ وانما يُستدلّ من ورقها ومدادها وكتابتها انها من القرن الثامن عشر. وفي اخرها ان الكتاب كان في « استعمال الاب الخوري خائيل جربوع وقفاً مؤبداً للرهبنة الحليّة ». وعدد صفحاتها ١٦٦ صفحة. من قطع الربع تحتوي على خمسة ميامر اولها (من الصفحة ٢ الى ٥٩) الميمر الذي تولى نشرهُ في هذا العدد من المجلّة ولا اثر لهُ في النسخة المطبوعة. ثمّ يليهِ (ص ٥٩–٩٦) ميمر « تحقيق ناموس موسى » المنشور في المشرق (وفي طبعة الاب ق. الباشا ص ١٤٠ – ١٨٠). ثمّ يليها (ص ٩٩–١٢٨) ميمر ثالث جليل في بيان التثليث والتوحيد (في النسخة المطبوعة ٢٢–٤٨). والميمر الرابع (ص ١٢٨–١٥٦) موضوعهُ

موت المسيح (يوافق في النسخة المطبوعة ص ٤٨-٧١). والميمر الخامس وهو الاخير (١٥٧-١٦٥) عنوانهُ « انهُ لا تُغفر لاحد خطيئة الّا باوجاع المسيح » (يوافق طبعة الاب ق. الباشا ٨٣- ٩١) فمن هذه المقابلة يظهر أنَّ في النسخة المخلّصيَّة المطبوعة ما لا يوجد في نسخة دير الشير اعني الميمر الثاني في حرّية الانسان (٩ - ٦٣) ثمَّ الميمر الخامس في تحقيق الانجيل (٧١-٨٣) ثم السادس في « انَّ ثمَّ ابنًا هو عدلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ » (٩١ - ١٠٣) وفي اثر الميامر رسالة كتبها ابو قرّة الى صديق لهُ يعقوبيّ صار اورثذكيًا (١٠٤-١٤٠) ثمَّ ردٌّ على من ينكر ان المسيح اتحد (١٤٠ - ١٨٣)

فالاثر الادبي المنثور هنا يشبهُ كل تآليف ثاودورس ابي قرّة بقوّة برهانهِ وبلاغة كتابتهِ وبحسن اسلوبهِ في البحث وسياق ادلتهِ مقرّبًا للعقول المطالب العويصة فتناولها دون عناء. امَّا لغتهُ ففيها شيء من حشونة ذاك الزمان الذي كُتبت فيهِ وكانت العربيَّة حديثة الانتشار بين نصارى هذه البلاد وهي مع ذلك لا تخلو من المزايا الخاصة كالوضوح والضبط وحسن الدلالة على المعاني

ولا حاجة هنا الى تعريف المؤلف وقد اثبتنا في المشرق (٦ : ٦٣٣ و ٨ : ٣٣٠) ما امكننا جمعهُ عن احواله. وممَّا ثبت بعد ذلك بالتحقيق انَّ ابا قرّة كان اسقفًا على الملكيين الكاثوليك في مدينة حرّان الجزيرة الرها في ما بين النهرين في قرن التاسع للمسيح وقد ذكرهُ البطريرك اليعقوبي ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر (Hist. de Michel le Syrien, ed. Chabot, III. 29-34) ودعاهُ هناك « ثاودوريكوس فوجلا » ولعلَّ ترجم في السريانيَّة « ابا قرّة » بالفجل (قوجلا) لكنَّا لا نعلم ان ابا قرّة كان من الدّ اعداء البدعتين اليعقوبيَّة والنسطوريَّة ولهُ اعمال كثيرة في اليونانيَّة في مجموعة مين (Migne, P. G. XCVII, col. 1468-1609) وغيرها في العربيَّة في خزانة الكتب الشرقية في لندن نشر منها أرندزن مقالة في عبادة الصور وحضرة الاب لويس معلوف « مقالة في تأنس الله الكلمة » (راجع المشرق ٦ : ١٠١١ - ١٠٢٢)

وهنا نكرّر شكرنا لحضرة رئيس دير الشير الذي وخصَّنا بنسخ هذا الاثر ولحضرة الاب يوسف خليل رئيس الاباء البسوعيين في زحلة ولحضرة الاخ بوليكربوس الراهب الحلبي اللذين ساعدانا في نسخ هذا الميمر

ل . ش

١ في وجود الخالق

اقول ان لنا عقولًا باطنةً واحواسًا (وحواسَّ) خارجة اعني نظرًا بالعين وسمعًا بالاذن وشمًا بالانف ومذاقًا بالفمّ ومجسَّة باليد وفي غيرها من الاعضاء الجسدانيَّة. واقول انَّ العقل بهذه الحواس يدرك معرفة اجزاء طبائع هذه الدنيا التي تُرى

وتجسّ اوّلًا بمنزلة أنّي لم اكن عاينتُ البحر قطّ فجئته ورأيته بعيني وسمعتُ صوتهُ باذني وشممتُ رائحتهُ بانفي وذقته بفمي وجسسته بيدي ثمّ ابعدتُ عنهُ فصار الذي ابصرتُ منهُ وسمعتُ وجسستُ بيّناً في عقلي من داخل راسخاً مطبوعاً فيه

ومعروف ان احواسي (حواسي) لم تؤدي (تؤدِ) الى عقلي من معرفة البحر الّا جزءًا لانّ بصري لم يؤدي (يؤدِ) اليّ منظره كلهُ ولا سمعي صوتهُ جميعهُ ولا شمّي ولا جسّي ولا مذاقي الّا كذلك. وكلُّ ما نال عقلي بحواسه معرفة اجزاء البحر التي وصفنا. وكذلك رأيتُ انّ عقلي ينال بها معرفة جميع الاشياء التي أعاين اجزاءها من السما والارض وما بينهما من الهواء والسحاب والامطار والثلوج ما يشبه ذلك والجبال واصناف الطير والبهائم ودبّابات الارض والاشجار والنباتات وذوات البحر وسائر ذلك من جميع الاشياء التي تقع الحواس (3) عليها

كذلك على هذه الجهة عاينتُ يوماً شجرة من شجر البلوط فيها قضيبان احدهما راكباً (راكب) على صاحبهِ والريح يحرّكهما ويحتكّ احدهما بالآخر فاحتكّا حتى برزت منهما نار فاشتعلت فيهما. ورأيت عند ذلك ماء وبخاراً يخرجان منهما سوى النار التي رأيت فاحترقا وصارا رماداً وتراباً فعرف عقلي بما عاينتُ انهُ كان في القضيبين نار وماء وهواء وتراب (١. وعرفتُ ايضاً انهما منها جُمعا وركّبا. وكذلك ايضاً رأيت حديداً احتكّ بحجر فخرج بينهما نار فاحببتُ ان اجرّبها فادخلتهما النار فرأيت كلّ واحد منهما عرق ماء وبخاراً واخيراً بادا وصارا رماداً وتراباً فعرفتُ انّ هذين ايضاً مثل القضيبين من هذه الاربعة الاشياء. رُكبا وجُمعا (١

هكذا على هذه الجهة اقول انّ العقل الباطن لا يعرف اوّلًا الطبائع باحواسهِ (بحواسه) الخارجة كالجهة الاولى لكن من دلالة اجزائها التي نال بمعرفتها من قبل باحواسهِ. بمنزلة اني عطشتُ يوماً وتناولتُ من ماء البحر جرعة لاشرب فلمّا ذقتها ولم توافقني القيتها فنزلتْ منحدرةً حتى وقعت على الارض وعلمتُ من اني لا اقوى على شربها ومن اني ادخلتها فمي فاحتوى عليها ومن حيث القيتُها فنزلتْ حتى ادركتْ الارض ووقعت عليها انّ جميع ماء البحر الذي عاينتُ والذي لم اعاين مثل

١) هذا محمول على زعم القدماء في العناصر الاربعة المعروفة بالامهات

هذه الجرعة لا اقوى على شربهِ وانَّ كلهُ (4) محدود محتوًى عليهِ وانـهُ نازل لا يقف حتى يجد شيئاً يحملهُ ويثبت عليهِ

كذلك جمتُ وتنـاولتُ طعامي من تراب لا اعلم ان كان يصلح لطعامي فأدنيتهُ من فمي فلمَّا لم يوافقني القيتهُ فلم يزل نازلًا حتى ادرك الارض فوقع عليهـا فعلمتُ من هذا الكيف انَّ الارض كلها ليست تصلح لطعامي وانَّها كلها محدودة محتوًى عليها وانَّها في طبيعتها منحدرة ابدًا حتى تجد شيئاً يحملها وتقوم عليهِ. هكذا استدلَّ عقلي على معرفة كمال الاشياء العظيـمة التي لا تدركها الاحواس (الحواس) بكمالها من اجزائها

ولذلك ايضاً اقول انَّ العقل يدرك معرفة كمال كل نوع من انواع الحيوان من الجزء الواحد من النوع وايضاً من بعض الانواع معرفة جماعتها بنزلة أني لم اكن رأيت قطَّ ميتاً فرأيت جماعة اناس كثيرين ورأيت ميتاً فسألتهم: ما هذا. فقالوا: ميت. فحيث رايتهم يشبهونهُ في الطبيعـة اجمعين وقد حلَّ بهِ الموت استدلَّ عقلي من هذا الواحد انَّ الموت نازل بجميع الناس وهذا ليس من بصر عيني معرفتـهُ لاني لم ابصر جميع الناس موتى ولكن من الواحد منهم الذي استدللتُ بذلك منـهُ عليهم

وكذلك استدللتُ من غراب رأيتهُ ميتاً على الغربان اجمعين ومن عقاب واحد على العقبـان. وكذلك في البهائم من فرس وثور وكلب واحد على جميع الافراس والبقر والكلاب. وايضاً من هذه الانواع التي (5) ذكرت اعني من الانسان والعقاب والغراب والفرس والثور والكلب عرف عقلي انَّ الطير كلهُ والبهائم كلها ودوابّ البحر كلها وجماعة كلّ حيّ الذين لم اعاينهم ببصري موتى

على هذه الجهة عرفت ايضاً جميع الانواع النفسانيَّة وغير النفسانيَّة اعني الاشجار والنبات جميعاً والمعدنيَّة والحجارة التي لا تنبت أنَّها من الاربع طبائع رُكِّبتْ لانَّ عقلي حيث عاين الشجرة الواحدة من البلوط عرف انها من النار والهواء والماء والتراب جُمعتْ لستدلَّ منها على جميع شجر نوع البلوط انَّها من هذه جُمعت. ومن هذا النوع ايضاً استدلَّ على شجر نوع الأَرز والصفصاف واللوز والتين وعلى جميع الاشجـار والانبات النفسانيَّة أنَّها من هذه الاربع طبائع رُكبت. كذلك استدلَّ من الحديدة

الواحدة على جميع نوع الحديد ومن نوع الحديد على جميع الانواع المعدنية ومن الحجر الواحد على جميع انواع الحجارة. وعلى هذه الجهة من اجسام الاشجار النفسانية واجسام المعادن والحجارة الغير النفسانية كلها استدلّ وعرف انّ جميع اجسام اصناف الطير وانواع البهائم ودواب البحر واجساد الناس وكل جسد مركب انهُ من الاربع طبائع جُمع وركِّب من النار والهوا والماء والتراب. الى هذا الموضع قد وصفتُ كيف نال (6) عقلي باحواسهِ (بحواسِه) معرفة اجزاء الطبائع التي تُجَسّ وكيف نال من جزء كل نوع من الطبيعة معرفتهُ كلهُ وكيف نال من بعض الطبائع المعرفة على كلها

وبعد هذا رأيتُ انهُ يمكن لعقلي ايضاً ان يعرف اشياء باطنة لم يحسّ منها بعينهِ شيئاً بتّة جزءاً ولا غير جزء. ولكنهُ يستدلُّ عليها من آثارها ويعرف صفتها من فعلها بمنزلة أنني مررتُ على شطّ النيل يوماً ورأيت خشباً كثيراً قد قُطع من غيضتهِ ونُقل وصُيّر على شطهِ ولم اكن رأيتُ قطّ خشبة قطعت من موضعها النابتة فيه وقال عقلي: «انّ هذه على غير طبيعتها وُضعت هاهنا لانهُ ليس لها في طبيعتها ان تقطع نفسها وتنتقل من موضع الى موضع» وعرفتُ من أني رأيتها على غير طبيعتها انّ شيئاً اقوى منها قطعها بقوتهِ ونقلها الى ذلك الموضع وان كنتُ لم اعاين ذلك الشيء. وبعد ايام ايضاً مررتُ بها فرأيتها قد نشرت وعُمل منها سفينة فعرفتُ انّ ذلك القوي الذي جرّها الى ذلك الموضع وعمل من صنعتهِ السفينة هو ايضاً حكيم

ومررتُ يوماً آخر بعد ذلك فرأيت السفينة في النهر مملوّة طعاماً فعرفتُ انّ صاحبها القوي الحكيم ايضاً محتاج خبزاً لانهُ يخدم حياة الناس في البعيد فأنشأها هكذا. (ومن ثمّ) رأيتُ انهُ يمكن لعقلي ان يعرف من الاشياء الصنّاع لها الذين لم اُعاينهم بشيء من الحواس (7) وانّما عرفهم من آثارهم وفعلهم

فلمّا علمتُ انهُ يمكن الامر الذي لم يُبصر بالحواس بتّة ان ينال معرفتهُ من لا يراه وصنّاعهُ على ما وصفتُ عرفتُ ايضاً انهُ يمكن للعقل من مثل معرفة هذا الوجه معرفةُ ما عُلم من كمال انواع الاشياء. اي معرفة الخالق بمنزلة اننّا علمنا ان الارض اجمع بكلها محدودة من جميع نواحيها محتوًى عليها منصبّة في الانحدار الى اسفل وهي من طبيعتها لا تنصبّ ولا تتحرّك فأمرُها على احد وجهين اما ان تكون قائمة على جسد

يحملها على ما يوافق طبيعتها واما لا. فان كانت قائمة على جسد يوافق طبيعتها وجب ان يقوم ذاك الجسد على شيء اخر والآخر على آخر وكذلك واحدٌ على واحد حتى يبلغ الف الف واكثر من ذلك. وليس لها بدٌ من ان تنتهي الى واحد ليس تحتهُ شيء يحملهُ فتصير هي وما حملهـا على غير طبيعتها قائمةً الساعة. فعلى اي الامرين حوّلت امرها اعني كان تحتها شيء او لم يكن فهي على غير طبيعتها قائمة. والآن كل شيء يوجد على غير طبيعته فشيء آخر اقوى منـهُ قهرهُ وصيّرهُ بقوّته على غير طبيعته. واما رأينا الارض قائمة على غير طبيعتها عرفنا انّ شيئاً اقوى منها بقوّته يحملهـا بلا محالة ونحن نرى قوّة هذا الشيء الحامل لها فوق الصفة لانّ قوّتهُ تقدر تحمل الارض بكمالها وما عليها من البحار (8) والجبال وغير ذلك وهو لا يضعف ولأنها قامت كذلك ازماناً ودهوراً كثيرة لا تحصى ولا تفنى فهذا الشيء الحامل لها لا انتهاء لهُ

وايضاً على مثل ذلك عرفنا انّ عظم قوّة هذا القوي من جهة اخرى عظم من هذه. نقول انهُ عرفنا ايضاً ان كل ما على الارض وفي البحار من الانواع جميعاً بمنزلة الاشجار والانبات والحيوان اجمع والجبال وغير ذلك من المركّبين من الاربع طبائع جميع وركّب من الهواء والنار والماء والتراب. وكل مـا رُكّب فأجزاؤهُ اسبق منهُ في الطبيعة وربّما كانت مع ذلك اسبق منهُ في الزمان ايضاً بمنزلة تركيب البيت المجموع من حجارة وطين وخشب ومسامير وغير ذلك التي هي اسبق منهُ في الطبيعة والزمان. ونحن نعلم انّ الارض والماء على ما لزمتهـا طبيعتهما قبل تركيبهـا ان ينحدرا الى اسفل السافلين بلا ارتفاع. وعلى خلاف ذلك النار والهواء تلزمهما طبيعتهما ان يرتفعا الى اعلى العلاء بلا انحدار على غير تلاقٍ يكون بين هـذين وذينك الآخرين. فلمّا رأينا انّ هذه العناصر الاربعة قـد ارتفعت الى الوسط واشتبكت ووجدنا انّ هذين قد انحدرا من اعلى العلو وذينك قد ارتفعا من اسفل السافلين على غير طبائعهما عرفنا انّ هذا القويّ الذي لا توصف قوّتهُ امتـدّ بقوّته الى فوق فقهر المرتفعين واحدرهما الى اسفـل وقهر ايضاً (9) السفلانيين واصعدهما وشبكهما في الوسط. فان قال قائل انّها لم تزل في الوسط فاننـا نؤاتيه ونقول فان كان الامر على ما وصفت فهي مضبوطة من هذا القويّ على غير طبائعها

في الوسط ذانك لا يرتفعان وهذان لا ينحدران فعلى اي جهة اخذت امرها فالقوّة واحدة اعني التي حبستها في الوسط والتي احدرت تلك من فوق واصعدت هذه من اسفل . اذاً قوّة هذا القوي في هذا الوجه اعظم من الاوّل ايضاً

وتُعرف على مثل ذلك قوّة هذا القوي وعظمها وعدتها من وجه آخر نقول انهُ لا يخفى انّ النار والهواء والماء والارض متضادّة في الطبيعة تأكل بعضها بعضاً وها نحن نراها مجتمعة في هذه الطبائع المركّبة على غير طبيعتها مصطلحة وعداوتها فارّة من ان نراها هكذا فعلمنا انّ هذا الشيء القوي هو الضابط لها بقوّته والقاهر لها في كل شيء هي فيه من الجبال والاشجار والانبات والطير والبهائم والدبّابات ودوابّ البحر والناس ونحن نرى اذ نسرّحها ادنى طرفة عين انّها تضادّ بعضها بعضاً فيرتفع ذانك الى اعلى العلوّ والآخران ينزلان الى اسفل السافلين فتهلك الدنيا على ما ذكرنا في طرفة عين . فمن هذا الذي وصفنا من ثبات وصلح هذه الاربعة اجزاء في الاشياء وهبوط المرتفعين وارتفاع المنهبطين واشتباكها في الوسط (10) وقرارها وذلك كلهُ على غير الطبيعة عرفنا انّ هذا القوي الذي لا تُحصى قوّتهُ ولا توصف قدرتهُ انّهُ هو الضابط للكلّ

وايضاً ممّا رأينا من هذا القوي انهُ جمع وركّب من هذه الاربعة اجزاء فوق الارض ما لا يُحصى ولا يُعدّ من كثرة انواع الاشجار والانبات والجبال والمعادن والطير والبهائم والدبّابات التي تدبّ على الارض وفي البحار عرفنا انهُ حكيم لا تحصى حكمتهُ مثل قوّته

وايضاً ممّا رأينا ورأيت من هذه الانواع التي ذكرنا ومن انّ الماء والارض والهواء والشمس والقمر والكواكب ومياه البحار والانهار والعيون وكل ما يرى هو خادم حياة هذا الانسان عرفنا انّ هذا القوي الحكيم ايضاً فيّاض خيّر لا يُحصى خيرهُ على قدر حكمته وقوّته

وايضاً لاننا راينا نسمة اعشار الناس اشراراً لا يبيدهم ولا يؤاخذهم بل قد اوسعهم من خيره مثلما اوسع الصالحين عرفنا انهُ فاضل بلا انتهاء

ومن انّنا رايناهُ قد امهل الاشرار لا يهلكهم بل يحتملهم عرفنا انهُ رحيم طويل الروح وان ذلك لمّا يُرجى من عطفهم وتوبتهم . ولانّا راينا فيهم كفّاراً يفترون

عليه ولا يؤاخذهم عرفنا انهُ حمول وصبور حليم لانهُ يترجاهم . ولاننا رأينا مَن كثُر شرُّهُ قد تغيَّر عليه واباد ذكرهُ من الارض عرفنا انهُ عادل ومعاقب كلًّا بسوء عملهِ

ولاننا راينا اشرارًا كثيرين انقلبوا من الدنيا في نعمة كثيرة لم يصبهم فيها سوء ولا مجازاة (11) شيء من عقوبة ما استوجبوا وراينا ايضاً صالحين انقلبوا من الدنيا باحزان ولم يروا فيها خيرًا ولا مكافأة باحسانهم ونحن نعلم انهُ عادل غير ظالم علمنا انهُ سيحشر الخلق ويبعثهم من الموت ويثيب الصالحين على قدر صلاحهم ويعاقب الطالحين على قدر ما استوجبوا

كذلك استدللنا على هذا الصانع وعلى صفاتهِ هذه التي ذكرنا من آثارهِ وافعالهِ

ونقول ايضاً انَّ هذا الصانع ليس من شيء قد كان عندهُ لم يزل معهُ فوُجد صُنع هذه الاشياء بمنزلة النجار الذي لا يقدر يظهر صنعتهُ ان لم يجد خشباً او الحدَّاد حديدًا ولكن من لا شيء انشأها وابتدعها . فمن اجل ذلك ليس هو صانعاً فقط ولكن خالق . وبيان ذلك من قياس الشيء الازلي والمحدث وخلافهما لانَّ الشيء الذي لم يزل لا يقبل تغييرًا ولا يفسد ولا يتلاشى ومن اجل ذلك هو دائم ابدًا . والشيء المحدث على خلاف هذا لانَّ اوَّل امرهِ واوسطهُ وآخرهُ على التغيير والفساد يجري اعني انه لم تكن فكان وهذا اوَّل تغيير وحيث كان فهو يقبل تغييرًا وفسادًا في انتقالهِ من شيء الى شيء في حالاتهِ كلها واخيرًا يتغيَّر ويتلاشى ويصير لا شيئاً ويعود الى الحالة الاولى التي لم تكن . ومن ذلك عرفنا ان الذي لا يقبل تغييرًا ولا فسادًا في شيء هو ازلي والذي يقبل تغييرًا فهو محدث . ولانَّا رأينا هذه الاشياء كلها التي تُرى تتغيَّر من شيء الى شيء وتفسد (12) عرفنا انها محدثة مبتدعة لم تكن فكانت . وايضاً مما نراها بمعاينة انها تُبيد بعضها بعضاً وتتلاشى وخاصَّة نعرف ذلك من اجتماع النار والماء لانَّ الماء القليل اذا أُلقي في النار الكثيرة يحترق ويبيد ويتلاشى فعلمنا من انَّهُ يتلاشى انَّ ملاشياً اتى بهِ وكذلك الماء والنار والهواء والتراب وكل ما يقبل تغييرًا . كذلك اذن ذلك الصانع القوي الحكيم هو ايضاً خالق ومن لا شيء ابدع الاشياء وانشأها

فلما فرغ العقل من امر الخليقة وعرفها انها مبتدعة وعرف صانعها وخالقها منها كلهُ رفع نفسهُ الى خالقهِ فقال : قد عرفتهُ انهُ خالق فلعلهُ مع انهُ خالق هو ايضاً

مخلوق فاراد ان يعلم أمخلوق هو ام غير مخلوق فقال: ان كان مخلوقاً فمن آخر خُلق. والآخر يقع عليهِ الشكّ انهُ من اخر والآخر من آخر وهكذا واحد من واحد حتى يبلغ الالف الف واكثر من ذلك. ولا بدَّ من ان نقف على واحد خالق غير مخلوق. فلما وُجد خالقٌ غير مخلوق احبَّ ان يعلم اهو هذا الذي خلقنا او غير الخالق لنا فقال: ان كان بعد الخالق الاعلى (13) مخلوقون يخلقون ليس لهؤلاء ايضاً ان ينتهوا الى مخلوقين لا يُخلقون بمنزلة الناس. فراى انهُ قد ادرك بمعرفتنا الخالق الغير مخلوق الاعلى ومعرفة المخلوق الغير خالق الاسفل يتعين لا شكّ فيها

فاراد ان يعلم ان كان المخلوقون الخالقون الذين ادخلهم الشكّ في الوسط وجودين او غير وجودين فعرف انهم غير موجودين لانهُ لا شيء مخلوق وخالق معاً. وذلك انهم لو كانوا موجودين قد كان كل واحد منهم خلَق مثلهُ اعني كل واحد منهم قد كان مخلوقاً وخالقاً. ولانهُ لاشيءٌ من الاشياء بتَّةَ يخلق مثلهُ فليس اولئك موجودين. وبيان ذلك انهُ لا شيء يخلق مثلهُ فالانسان المخلوق لا يستطيع يخلق مثلهُ والله الذي يستطيع كل شيء لا يستقيم ان يخلق مثلهُ فان كان الانسان والله اللذان تعرفهما (ومنهما الله الذي يستطيع كلًا) لا يخلقان مثلهما فلا شيء يستطيع يخلق مثلهُ. والّا فقد صار اعظم قدرةً من الله. فاذ لم يكن شيء يقدر يخلق مثلهُ فالمخلوقون الخالقون لمثلهم الذين كان الشكّ ادخلهم في الوسط ليسوا بوجودين. اذ ليس الّا خالق غير مخلوق ومخلوق غير خالق. وكلاهما ليس في وسطهما شيء. اخر

والخالق منهما فهو هذا الذي خلق الدنيا ونحن خلقهُ وقد عرفنا انهُ الاهٌ لم يزل غير مخلوق وخالق كل شيءٍ من لا شيءٍ لا خالق غيرهُ. قويٌ ليس لقوَّتهِ انتهاء. حكيم فيّاض جواد فاضل رحيم طويل الروح صبور محمول عليم عادل باعث الموتى محيي مُجزيٌ الصالحين بصلاحهم والطالحين بطلاحهم

فان قال قائل انك قلت انهُ لا يأتي شيءٌ من الاشياء بمثلهِ. وها نرى الانسان يأتي بمثلهِ. فانّنا نجيبهُ اننا لم نقل انهُ لا يأتي الشيءُ بمثلهِ (14) ولكنّا قلنا انهُ لا شيءٌ من الاشياء يخلق مثلهُ فاما الانسان فقد علمنا انهُ يأتي بمثلهِ في الميلاد ان احبَّ. واما ان يخلق فقد علمنا انهُ لا يستقيم لهُ. وان كنّا تركنا الفحص عن ذلك ها هنا. لان هذا الموضع ليس بموضعهِ. لان ارادتنا ليس الّا التثبيت ان الله موجود من غير خلائقهِ

فقط . وانّ على هذا الاله وعلى صفاته هذه دلّت طبائع عقولنا من آثاره وافعاله

فلمّا عرفتُ ذلك منها احببتُ ان نعلم ايضاً وجهاً آخر أهذا الخالق هو واحد او اكثر من واحد او هل في هذه الطبائع دلالة الى شيء من ذلك . فالتمستُ ان نجده لانها لا تدلّ على شيء من ذلك . وبمنزلة أنّنا كنّا جماعةً نسير في طريق انتهينا الى كرم ورأينا رجلاً يجمع حجارة ويسيّج الكرم وقد اسرع في بنيانه . وتقدّمنا قليلاً ورأينا كرماً آخر وابصرنا رجلين متفقين يسيّجانه ايضاً احدهما يجمع حجارة وينادل صاحبهُ والآخر يبني وقد اسرعا فيه . وتقدّمنا ايضاً قليلاً فلقينا كرماً آخر فيه عشرة رجال قد اتفقوا في بناء سياجه فمنهم من ينقل حجارة ومنهم من يناول ومنهم من يبني وقد اسرعوا فيه . وتقدمنا قليلاً آخر . فاصبنا كرماً قد سُيّج وفُرغ منهُ . وليس عنده احد فسأل بعضنا الجماعة : كم ترون رجلاً بنوا هذا السياج . فاجابهُ رجل شيخ منّا وهو رجل حكيم (15) وقال لهُ : امّا ان تكون تعلم ان لهذا السياج صُنّاعاً بلا شكّ وانهُ يحيط هذا الكرمَ بناء فنحن نعلم ذلك لان بناءهُ يدلّ على ذلك وامّا كم من رجل بناه فليس فيه اثر ولا دلالة على ذلك لانهُ يستتم ان يبنيه واحد او اثنان او عشرة اذا اتفقوا على ما قد رأيناهُ في الكرم الذي مررنا بهِ . كذلك اذاً تعرف عقولنا من هذا الخلق ان لهُ خالقاً مع صفاته تلك التي وصفنا لان اثر ذلك فيه على ما قد اثبتنا . فأمّا ان يكون الخالق واحداً او اثنين او اكثر من ذلك فليس في الخلائق من وجه الآثار والافعال الدلالة على ذلك على ما جرى عليه مثال سياج الكرم . اذاً ليس تدلّ الخلائق على الخالق انهُ وجه واحد فَرْد من هذا الوجه

٣ في الدين القويم

ثم انّ طبيعتنا تعلمنا آية رسل الله وكتبه الحقّ التي جاءت من عند الله وأيهم دينهُ الحقّ الذي يجب ان يُعبد عليه مع صفاته الكاملة وأيهم امرهُ ونهيهُ وثوابهُ وعقابهُ

الحق اقول اني نشأتُ في جبل لم اعلم ما من الناس فيه . فنزلتُ يوماً لحاجة عرضت لي الى المدائن وجماعة الناس فرايتهم في اديان مختلفة فدعتني منهم فرقة هي على دين الحنفاء الاولين الى الدخول معهم فزعموا انهم يعبدون السبعة الكواكب الشمس والقمر وزحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة والاثني عشر برجاً لانهم

هم الذين يخلقون ويدبرون هذا الخلق ويعطوه (ويعطونهُ) البخت الصالح والنعيم في الدنيا (16) والبخت السوء والشقاء. وان نبيّهم في ذلك هرمس الحكيم

ففارقت هؤلاء. فلقيني قوم من المجوس فقالوا: دع هؤلاء. ليس هم على شيء ولكن علمهُ الينا لان ما في ايدينا هو الصواب. وذكروا ان الههم الكبير يقال لهُ ذروان وان ذروان هو البخت وانهُ قبل ما يخلق الدنيا ضحّى الف سنة ليولد لهُ ولد وان امرأتهُ حبلت بابن يقال لهُ هرمزد وانهُ لمّا حُبل بهِ سبعمائة سنة كان ذروان ابوه شكّ انهُ لم يُحبَل بهِ وانّ شكهُ ذلك صيّر في بطن امرأتهِ ولدًا اخر هو الشيطان. وان ذروان علم بهِ فقال: ايُّ اولادي يبصر اوّلا وجبي اياه اعطي الملك. وان هرمزد علم بذلك وهو في بطن امّهِ واخبر بهِ الشيطان وان الشيطان لمّا علم ذلك ثقب بطن امّهِ وخرج من جنبها فجاء حتى وقف بين يدي ابيهِ وهو ظلمة اسود الوجه سمج فقال لهُ ابوه: من انت. فقال لهُ: انا ابنك الشيطان الذي صار لك من الشكّ فأعطني الملك على ما قلت. فحزن ذروان ولانهُ لم يجب ان يرجع عن كلمتهِ اعطاه الملك على هذه الدنيا سبعة الاف سنة. وان هرمزد ولدتهُ امّهُ الى تمام الف سنة فخرج ضوءًا حسنًا جميلًا وانهُ خلق السماء والارض وما بينهما من انواع الطبائع على ما ترى الدنيا عليهِ من الحسن والبهاء. الّا انّها كانت مظلمة ليس فيها نور فحزن واستشار الشيطان في (17) ذلك فاشار عليهِ ان ينكح امّهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت الشمس ضوء النهار وايضًا ان ينكح اختهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت القمر لضوء الليل وان المجوس لذلك ينكحون امّهاتهم واخواتهم وبناتهم ليلدن بنين مثل الشمس والقمر مثل هرمزد الاههم هذه صفتة آلهتهم وان مثل هرمزد قد اذن لهم ان يتناولوا جميع ما طاب لهم من شهوات الدنيا لانهُ من اجلها خلقهم. وزعموا ان نبيّهم الذي اتاهم بهذا الحق زَرْدَشت

وفارقتُ هؤلاء. فلقيني قوم من السامرة وقالوا لي: لا تلتفت الى هؤلاء. ولكن تعال الينا فانهُ لا احد على الحق غيرنا نحن اولاد ابراهيم واسحاق ويعقوب احبّاء الله الاه السماء والارض وقد كان اوعد (وعد) اباءنا ان يخلّص زرعهم من ارض مصر ويورثهم ارض فلسطين ففعل وذلك على يدي موسى النبي فانهُ بعثهُ الى فرعون فضربهُ واهل مصر بتلك الاعاجيب والآيات فاخرج اباءنا من يديهِ قسرًا وشقّ لهم البحر وغرق

فرعون واجناده واخرج اباءنا الى البرية واطعمهم المنّ والسلوى وفجر لهم المياه من الصخرة واعطاهم ناموس الله يحلّ عليهم الحلال ويحرم الحرام عليهم واهلك فلسطين ودفع اليهم اراضيهم ونحن اولادهم حتى اليوم فما دمنا لهُ نحفظ الناموس فهو يحسن الينا واذا خالفناه عاقبنا واشقانا في الدنيا فللمحسنين منّا حياة (18) صالحة في الدنيا وللمسيء الشقاء. فاذا ما فارقنا الدنيا فهو الهلاك الى الابد فلا قيامة

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من اليهود فقالوا: لا تلتفت الى هؤلاء ولا تدخل معهم لانهم على ضلال فامّا ما خبّروك بهِ من ان الله الاه ابراهيم واسحق ويعقوب وانهُ وعدهم في زرعهم ما وعدهم وبَعثهُ موسى واخراجهم من مصر وادخالهم ارض كنعان فالذي خبروك من ذلك فهو الحقّ قد كان ومضى واما قولهم انهم زرع ابراهيم واسرائيل فهم في ذلك كذبة بل هم قوم من المجوس واما زرع ابراهيم واسرائيل فنحن. وحقًا انَّ الله ورّث اباءنا ارض اسرائيل ومكثوا فيها الفاً وخمسمائة سنة ملوكاً في نعمة لا يشبهها نعمة وانهم اخطوا (اخطأوا) فغضب الله عليهم ودفعهم الى ايدي الامم واجالوهم (وجلّوهم) عنها ولكن قد وعد اباءنا ان يبعث الينا المسيح فيجمعنا من اطراف الارض الى ارض اسرائيل ويشرّفنا على ما كنّا عليهِ في الامر الاول وان يسلطنا على الامم ويقيم موتانا ويجسمهم ايضاً الينا ويامر الارض فتخرج لنا الخبز المخبوز والاثمار الطيبة بغير عناء ولا شقاء. وعمل مع كل نعمة وشهرة نشتهيها الى الابد والله لا يكذب وهذا الامر كائن ونحن منتظروهُ فلا تدخلنَّ مع احد الّا معنا لانهُ لا دين غير ديننا

ففارقتهم ولقيني قوم من النصارى فقالوا : لا يظلنك (يضلّنك) قول اليهود لان الله قد بعث (19) المسيح الذي يذكرون فلم يقبلوه وقد غضب الله عليهم وبدّدهم في جميع آفاق الارض وهم هالكون الى الابد ورجاؤهم باطل. ولكن عليك بدين المسيح وتعليمهِ وذلك ان الله آب وابن وروح قدس الاه واحد ثلاثة وجوه وجوهر واحد وفي هذا الجوهر الاه واحد وهذا الدين الحقّ الذي اعطانا للمسيح ابن الله في الانجيل وقد حلّل لنا الحلال وحرم الحرام ووعد انهُ يبعث الموتى ويكافئ المحسنين بملك السماء ويجزي المسيئين جهنم فلا دين حقّ الّا ديننا فلا يغرّنكَ احد

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من المنانيين وهم الذين يقال لهم الزنادقة فقالوا: اياك

ان تتبع النصارى او تسمع قول انجيلهم لان انجيل الحقّ في ايدينا قد كتبهُ الاثناعشر السليحيون ولا دين الّا ما في يدنا ولا احد نصراني غيرنا ولا احد يعرف تفسير الانجيل غير ماني صاحبنا. فقد علمنا انهُ قبل ان تُخلق الدنيا كان الاهان مختلفان في جوهرين احدهما نور خيّر وهو الاه الخير والآخر شرير ظلمة وهو الشيطان. وقد كان في البدء كل واحد منهما في بلادهِ فنظر الظلمة الى النور والى بهائهِ وحسنهِ فاشتهاهُ فوثب عليهِ فقاتلهُ يريد يسبيه واذا النور جاهده في القتال فاشرف الظلمة على غلبة النور. فلما خشي النور على نفسهِ قطع منهُ قطعة فالقاها اليهِ واذا الظلمة ابتلعها (20). وان السماء والارض وما بينهما من الخلق من طبيعة الظلمة ومن القطعة التي القاها اليهِ النور من طبيعتهِ تكوّنت على وجه الاشتراك بمنزلة ان الانسان مخلوق من نفس باطنة وجسد ظاهر وزعموا ان النفس من طبيعة النور والجسد من طبيعة الشيطان المظلمة وكذلك حال الاشياء. كل ما فيها طيباً منعماً فهو من طبيعة النور وما ليس بطيب او ضارّ فهو من طبيعة الظلمة بمنزلة أنّ الماء يغرق من انغمس فيهِ ويحيي من شربهُ وينعمهُ فالجزء الذي يحيي منهُ فهو من النور وما يحرق ويهلك فمن الظلمة. فامّا الحيات والعقارب والاسود والنمورة والدبّابات وما يشبه ذلك فتلك جميعها من الظلمة. هذا اصل الدين وصفة المتهم. فامّا في الحلال والحرام فانهم يقرّرون شهوات الدنيا لمن يشاء فينعم فيها على ما يشاء. ولا يأمرون بتزويج بل من اشتهى امرأة فهي لهُ وكذلك المرأة للرجل. ويفسرون الانجيل على مثل هذا التفسير ويزعمون ان قول المسيح: « من سألك فاعطهِ ومن سألك من المساكين صدقة فتصدق عليهِ » ليس هكذا لان الذي قد اشقاه الله من المساكين في الدنيا لا يحلّ لاحد ان يصلهُ بشيء ولا يتصدّق عليهِ والّا فقد خالف الله الذي يريد ان يشقيهُ وهو يريد ان ينعمهُ لان الله لو شاء ان ينعمهُ لكان قد اعطاهُ مالاً مثلهُ ولم يحوجهُ اليهِ ولكن تفسير (21) كلمة المسيح « من سألك فاعطهِ » فهو الرجال والنساء يقول للمرأة: كل من سألكِ نفسكِ من الرجال فلا تمنعيه وكذلك للرجل من سألك من النساء نفسكَ فاعطها اياها. هذا ومثلهُ تعليمهم في الحلال والحرام وفي امر اللاهوت

وفارقت هؤلاء فلقيني قوم من المركيونيين فقالوا: لا تلحق هؤلاء لانهم في اثم كبير بل تعال الينا لان انجيل الحقّ في يدنا وصاحبنا مركيون هو كان اعظم الناس به

وبتفسيره وقد وصف لنا وعلّمنا امر اللاهوت وذكر ان الالهة ثلاثة: واحد منهم غيور عادل في الحق لا يحتمل الخطأ ولا لمن عملهُ عنده رخصة او رحمة دون المقوبة بما استوجب وهو الاله العتيق الذي بعث موسى وصنع بمصر ما صنع. والثاني إله طيب رحوم خيّر يفيض بخيره ولا يعاقب احداً وهو المسيح. والثالث ظالم شرير غاية كل خبث وهو الشيطان

وفارقت هؤلاء. ولقيت بردیصان فقال لي: لا تسمع قول قوم ليس هم على شيء تعال اليَّ الآن لاني انا ما في يدي هو الحق. أخبرك ان الالهة خمسة ازليّة. اربعة منها غير عقلية والخامس عاقل وان هذا العاقل قوي بعقله على الاربعة فقهرها وخلق منها الخلائق. يعني بالاربعة الغير عقليّة النار والهواء والماء والتراب. والعاقل هو الذي انشأ منها طبائع الدنيا بحكمته

وفارقت هؤلاء. ولقيني اخيراً (22) قوم من المسلمين فقالوا: لا تسمع قول احد ممّن لقيتهُ لانهم اجمعين كفّار مشركون بالله ولا دين الّا دين الاسلام بعثهُ الله الى الناس كافّة على يدي محمّد نبيه وهو يدعوك ان تعبد الله وحدهُ ولا تشرك به شيئاً ويأمرك بالحلال وعمل الخير وينهاك عن الحرام وعمل السوء. وقد وعد ان يبعث الموتى وثوابُ المحسنين جنّة يجري من تحتها انهار من ماء ولبن وعسل وخمر لذّة للشاربين ونساء حور عين لم يطأهنَّ الجنّ والانس للنعمة مما يشتهي الانسان من الطيبات كلها في قصور من زمرّد وياقوت وذهب وفضة وغير ذلك من مثله الى الابد ووعد للمسيئين جهنم لا تُطفأ نارها

فلما تيوفي (لقيني) هؤلاء كلهم بحيث تفكّرتُ بقول كل واحد منهم ورأيت جملتهم متفقين في ثلاثة اشياء ومختلفين ايضاً فيها. فاماً اتفاقهم فكلّ واحد يدّعي انَّ لهُ الاهاً وانَّ لهُ حلالاً وحراماً وايضاً ثواباً وعقاباً الّا ما كان من او احد واثنين. واماً خلافهم فانهُ يختلفون في صفات الهتهم وفي حلالهم وحرامهم وفي ثوابهم وعقابهم فاعدتُ النظر ايضاً وقلتُ انهُ يشبه الله في طيبهِ وفضلهِ حيث رأى خلقهُ قد زاغ عن عبادة الحق ان يبعث اليهم رسلاً وكتاباً يبصّرهم ذلك ويردّهم اليهِ عن خطاياهم وقد جاء من جاء من كثرة الرسل والكتب واختلافها وامرهم على احد وجهين: اماً ألّا يوكن فيهم ولا (23) واحد جاء من عند الله واماً ان كان فيهم احد فهو واحد.

ويشبه ان يكون فيهم واحد مما يعرف من فضل الله وعنايته بامر خلقه. ولكن كيف الحيلة الى معرفة هذا الواحد ؟

فرايتُ ان امري يشبه امر ابن ملكٍ قد كان لهُ اب ملك وكان ابوه محزوناً محتجباً لم يبصرهُ احد قط الّا اهل المودّة والخاصّة به فأتتهُ حاجة في بعض البلدان فبعث ابنهُ فيها وهو حدَثٌ وبعث معهُ طبيباً كان لهُ ليحافظهُ من العاهات العارضة وصيّر لهُ ايضاً وزيراً لم يكن ابنهُ عاينهُ قط ولا الطبيب . فسار حتى انتهى الى تلك البلاد فضيّع الطبيب وتهاون الغلام بنفسه فمرض وسقم وعرف ابوه ذلك فلم تدَعْهُ مودتهُ ترك ابنهِ ولا تضييعهُ فكتب الى ابنهِ كتاباً فيه ثلاثة اوجه واحد منها يصف فيه صفة نفسه . والثاني يصف للغلام صفة مرضهِ ومن اي العاهات دخل عليهِ المرض وينهاهُ عنها الّا يتناولهـا . والثالث يصف لهُ دواءهُ ويعلمهُ كيف الشفاء وكيف ينبغي لهُ ان يدبر نفسهُ في صحّة نعيم لا يزول فلا يصيبهُ سقم ولا عاهة ابداً . وامرهُ بشربهِ بعد الصحّة . ودعا الملك بعض رسلهِ ودفع اليهِ كتابهُ وامرهُ بالمسير الى ابنهِ ودَفعهُ اليهِ . فقبض الرسول الكتاب وسار بهِ الى الغلام . وكان للملك اعداء وحسّدة كثيرون لم يكونوا (24) يقدرون على ضرّه في شيءٍ لحال عزّه فلما عرفوا ان ابنـهُ قد مرض وان اباه اهتمّ بهِ وانهُ بعث اليهِ في ذلك رسولًا وكتاباً وجدوا فرصةً ان يقرصوا الملك ان قدروا في ابنهِ فعجّل كل واحد فهيّأ (فهيّأ) رسولًا واختلق كتاباً مبهرجاً على لسان الملك يعلمهُ فيهِ صفة الملك اي صفتهُ كذباً وينهاهُ عمّا ينفعهُ ويامرهُ بما يضرّهُ ويبعث اليهِ دواء اذا شربهُ قتلهُ . فقبض رسلهم كتبهم وساروا فوافوا قبل ان يدفع رسول الملك الحق كتابهُ . فتوافوا عند ابن الملك اجمعين ودفعوا كتبهم فقرأها فاذا هي مختلفة كلها في صفات الملك وفيما امرهُ ابوهُ ونهاه عنهُ وفي الادوية ايضاً . فدعاهم واجتمعوا عندهُ فبدر واحد منهم وقال : انا رسول الملك اليك بهذا الذي دفعت اليك . فقال الاخر لابن الملك : كذب ما هـذا رسول الملك ولكني انا رسولهُ بكتابه الذي دفعت اليك . فقال آخر : قد كذب هذا وهذا انا رسول الملك . وصار كل واحد منهم يكذّب صاحبهُ ويكذبهم اجمعين ويثبت نفسهُ . ورسول الحقّ بينهم يكذبهم ويكذبونهُ وقد صار كواحد منهم . فقال لهُ الطبيب : سرّحهم الآن وانا افرز لك امرهم لاني طبيب واعرف هذه الاشياء لانهـا صناعتي واذا

اختلفت فليس فيها من الملك ان كان الّا كتابٌ واحد وقد اتوا اجمعين في كتبهم بثلاثة اوجه : الواحد إعلام الملك اياك صفاته . والثاني اعلامهُ اياك العاهات التي مرضت منها ونهاك عنها وارشادك الى الحال التي تُصحّك . والثالث الدواء الذي يصحّك وينعمك في حياة دائمة بلا مرض ولا سقم ابدًا . وانا على ما ذكرتُ لك طبيب واعرف ايضاً عاهات الامراض التي تسقم والحالات التي تصحّ واعرف صفات ابيك من شبهك لانك ابنهُ وان كنت لم ترهُ . فهلمَّ بنا اوّلًا لننظر في ادوية هؤلاء الرسل وفيما ينهاك عنهُ الملك ويأمرك بهِ في كتبهِ وصفاتهِ نفسه فالذي معهُ الدواء المنعم الى الابد وفي كتابهِ صفات العاهات التي اعرفها تمرّض فنهاك عنها والتي تُصحّ فأمرت بها وصفات ابيك التي اذا تناهى وافقتْ شبهك فهو رسول ابيك الحق قبلناه والذي خالف ذلك رفضناه . فجمعوا الادوية فنظر الطبيب فيها فاذا كلها مختلفة وجماعة تنهى ابن الملك عما ينفعهُ وتأمره بما يمرضهُ ويسقمهُ الّا ذلك الكتاب الواحد الذي كان معهُ الدواء المنعم الذي كان ينهاه عما يمرضهُ ويامرهُ بما يصحهُ . وايضاً فيما كان وصف الملك نفسهُ فيها قياس الصفات كلها الى صفات الغلام فاذا ليس فيها صفة تشبههُ الّا الواحدة التي كانت في الكتاب الذي فيهِ صفة امراضهِ الحقّ والدواء المنعم . فاتخذ هذا الكتاب والدواء وعمل بهِ واقام عليهِ ودعا صاحبهُ واعلمهُ انهُ رسول الملك الحقّ واظهر كذب اولئك ودفعهم ابدَّ الدفع واقصاهم عنهُ

فالملك المحزون الله تبارك وتعالى وابنهُ آدم وذريتهُ الذين خلقهم والطبيب العقل الذي أعطيهِ ليعرف بهِ الله وبهِ يعرف الخير ويعمل بهِ ويعرف الشرّ وينتهي عنهُ . وتضييع الابن للطبيب ووقوعهُ في المرض تضييع آدم نفسهُ للعقل ووقوعهُ في الخطيئة وخروجهُ من الجنة الى الارض وتصييرهُ مائلًا الى حياة الدنيا مثل البهائم . وبعثهُ اليه رسولًا اي بعث الله رسولًا يحق الى خلقهِ بكتابٍ يعلمهم فيهِ صفتهُ الحقيقيّة التي يجب ان يُعبَد عليها ونهيهُ اياهم عن كل سوء وقبيح وامره اياهم بعمل الخير في الدنيا وسعادة الصالحين في الاخرة نعيمهُ الذي لا يزول ووعد الطالحين جهنم التي لا تُطفأ نارها فذلك الدين الواحد الحقّ

واعداء الملك الذين ارادوا ان يغيظوا الملك بابنهِ وهيّأوا رسلًا وكتباً وبعثوا اليهِ يملكوهُ فهم الشياطين قد فعلوا ذلك وقد جاء رسول الله وكتابهُ الحق الى

الدنيا فاجتمعوا على الانسان كل واحد يكذّب اصحابهُ ويدعو الى نفسهِ . وفيهم رسول الحق وهو الى (27) الساعة كواحد منهم غير معروف وهم الذين وصفتُهم فوق اي الذين تعوني واحدًا واحدًا حيث انحدرت من الجبل يدعوني كل واحد منهم الى نفسهِ اعني الحنفاء والمجوس والسمرة واليهود والنصارى والمانيـة والمركيونيّة والديصانيّة واديان اخر اكثر من هذه واختلاف كثير في الدنيا الّا اننا اختصرنا على هذه الثمانية اديان او التسعة التي ذكرنا واخبرنا الى ماذا دعا كل واحد منها من صفات الله والحلال والحرام والثواب والعقاب . والان ينبغي لنا ان نصنع كما صنع الطبيب الحكيم وندع الكتب ناحيةً ونسأل العقـل : كيف عرفتَ صفات الله التي لا تبصرهـا الحواس ولا تدركها العقول من شبه طبيعة الانسان وكيف منها ايضاً الخير والشرّ والقبيح والجميل والثواب الذي ينعمها الى الابـد وخيرها وشقاوتها الدائم . واذا اخبرنا بذلك وعرفناه قـنا هذه الكتب التي علمنا فالكتاب الذي نجد فيهِ ذلك عرفناهُ انهُ من الله واقررنا بهِ وقبلناهُ ورحنا ما سواه

نقول ان عقولنا تستطيع ان تبصر الله الذي لا يُبصر مع صفاته الذي يجب ان يُعبد عليها من شبه فواضل طبيعتنا بالارتفاع عنها على الخلاف . وذلك على مثل هذه الشبهة نقول بانهُ ليس احد من الناس يقدر ينظر الى وجه نفسهِ بعينهِ الّا من شبههِ بمنزلة الرجل الذي ينظر (28) الى المرآة فيبصر وجههُ من شبههِ الذي فيها . ومعروف انهُ اذا فعل فقد ابصر الشيء الذي لا يُبصَر في جميع صفاتهِ بشبههِ فالوجهان يشتبهان فيها بمنزلة لو انهُ جاءنا رجلان غريبـان احدهما يعرف الرجل الذي نظر في المرآة والاخر لا يعرفهُ ونظر الى الوجه الذي في المرآة قد كان الذي يعرفهُ يستبين ويعرف ان هذا وجه فلان والذي لا يعرفهُ اذا رآه عرف انهُ الوجه الذي كان في المرآة . اذن يستدلّ العقل بذلك في ذلك وبذلك على ذلك وبكل واحد منهما على صاحبهِ لا يشتبهان والحالة التي فيها لان وجه الرجل بعينهِ يرتفع عن الشبه الـذي في المرآة بالخلاف لانهُ موجود وذلك على الخلاف لانهُ موجود وهو ايضاً يبصر ويسمع ويشتمّ ولا يفعل شيئاً من افعـال ذلك الوجه اذ يبصر شيئاً لا يبصر من شبههِ وان كان يرتفع من شبههِ بالخلاف

كذلك نقول اذا اطلعنا بعقلنا في طبيعة آدم ورأينـا فواضلها رأينا الله منها

وعرفناه بحقّ لانهُ شبههُ الّا انّ الله يرتفع عنها بالخلاف لوجه الرجل بعينهِ في الشبه. وذلك هكذا نقول لطبيعة آدم فواضل ومناقص بمنزلة ادم في طبيعتهِ اليوم موجود وغدًا ليس بموجود وايضاً حيّ وميت عالم وجاهل حكيم وغير حكيم قوي وضعيف وكذلك جميع صفاتهِ زوجاً زوجاً تلك فواضل وتلك مناقص نقول انهُ في مناقص طبيعتهِ لا يُدرك (29) الله ولا الله شبههُ واما في فواضلها فهو يشبه الله ليس فيهِ فضيلة الّا وانك ترى الله فيها وتراها في الله لانها من الله جرت اليهِ بمنزلة الشبه الذي كان في المرآة اذ لم يكن فيها شجة وهي شبه الرجل لانهُ من وجه الرجل جرى اليها كل ما فيها وهكذا ننظر الله في فواضل طبيعة آدم (التتمة لعدد آخر)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصّرة (تابع)

٢٠-٢١ ﴿ الكاسك والسكون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢١) «ومن قبائلهم الكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١)». ومما يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرّ ذكر نصرانيتها ونصرانيّة صاحبها أكيدر السكوني. وقد صرّح ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٤٩) بنصرانيّة السكون قال: «وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وبرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون». وكان السكون والكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت مخالفين لبني الحرث بن

(١) والصواب ما قالهُ ابن دريد سابقاً (ص ٢١٨) «كندة هو كندي واسمهُ ثور».

كعب اهل نجران كما اخبر الطبري ولمّا ظهر الاسود العنسي محارباً لمحمد نبيّ الاسلام كان السكون والسكاسك من انصاره (١ وكذلك زاهم يحاربون خالدًا مع بني كلب وغسّان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿ سليح ﴾ هي القبيلة العربيّة التي سبقت الغسانيين في الشام ودانت بالنصرانيّة قال المطهّر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (ed. Huart, III, p 208): « واوّل من دخل الشام سليح وهم من غسّان ويقال من قضاعة فدانت بالنصرانيّة وملّك عليها ملك الروم رجلًا يقال له النعمان بن عمرو ابن مالك ». وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) : « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فأكسها الروم على العرب الذين بالشام ». وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٨) : « تنصّر ... من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم ». وقبلهم الطبري في تاريخه (١ : ٢٠٨١) جعل سليحاً مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم. وبنو سليح يُدعون ايضاً بالضجاعم او الضجاعمة نسبة الى احد اجدادهم قال في التاج (٨ : ٣٧٣) : « ضجعم ابو بطن من العرب وهو ضجعم بن سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران ». وقد ذكر الطبري (١ : ٢٠٦٥) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد. ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبولة المعروف باللثق وكان نصرانيًا (٢ وقال بن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) : « يضاف اليه دير داود في الشام »

٢٣ ﴿ شيبان ﴾ حي من بكر بن وائل .. قال في التاج (١ : ٣٢٨): « هما شيبانان: احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ. وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وافخاذ ». ونصرانيّة القبيلتين شائعة كنصرانيّة جذرهما بكر بن وائل. وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانيّة انتشارًا تامًا . وبنو شيبان يُعرفون غالباً ببني ثعلبة في

١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤

٢) اطلب (Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 251-202)

تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن ثعلبة) . ومن شيبان كان حارث بن عبّاد سيّد شيبان في حرب البسوس وقرن المهلهل . ومنهم بسطام بن قيس احد فرسان العرب المشهورين وسيد شيبان في يومي غبيط وحنظط اللذين ذكرهما ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣ : ٨٨ — ٨٩) وابن الاثير في تاريخه (١ : ٢٥٠) . وقد صرّح ابن عبد ربه هناك بنصرانيّة بسطام ويدعوه ايضاً حنيفاً فيثبت ما قلناه عن نصرانيّة الحنفاء . ومنهم ايضاً نابغة بني شيبان الشاعر الاموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن . وقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) نصرانيته . وكذلك هانئ بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦) : « كان شريفاً عظيم القدر وكان نصرانيًّا وادرك الاسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة »

٢٤ ﴿ ضُبيعة ﴾ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم . بكل احوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم . ومنهم كان الشاعر الجاهليّ الشهير طَرَفة بن العبد صاحب المعلقة

٢٥ ﴿ طيّ ﴾ من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارة واثبتها على خطوب الزمان . اصلهم من اليمن ينسبون الى طيّ بن ادد بن كهلان . وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طيّ وهما أجا وسلمى وكانوا يسكنون في اطراف اليمامة في نواحي تيماء . وكانوا يدينون اولاً بالوثنية . وقد ذكروا لهُ صنماً كانوا يعبدونهُ يسمى الفُلس او الفَلس لم يتفقوا في تعريفه . ومما لا يُنكر انَّ النصرانية كانت كثيرة الانتشار بينهم . قال ابن واضح اليعقوبي (١ : ٢٩٨) : « تنصَّر من احياء العرب . . . من اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم » فجعل طيّاً في مقدّمة القبائل المتنصرة . وقد اخبر ابن العبريّ في تاريخه الكنسي (Barhebræi Chronicon Eccl. III, 100) انَّ « احودما » المغريان سنة ٨٧٠ لليونان (اي ٥٥٩ للمسيح) تنقل بين العرب الطائيين وردّ كثيراً منهم . وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصصون بهِ بني طيّ ايضاً ويذكرون نصرانيتهم . ومن آثار النصرانية في طيّ اديرة للرهبان في انحائهم مرَّ لنا ذكرها . كدير عمرو في جبال طيّ (ياقوت ٢ : ٦٨٢) وكدير الثعالب لبطون من طي قريباً من بغداد (ياقوت ٢ : ٦٥٠) . ومن مآثر نصارى الطائيين

انَّ قوماً منهم وضعوا الخطَّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة (راجع المشرق: ٤(١٩٠١) ص ٢٧٨) وقد صرَّح مؤلفو العرب بنصرانية كثيرين من النصارى كحنظلة الطائي باني دير حنظلة (ياقوت ٢ : ٦٥٥) الذي بسببه تنصَّر النعمان صاحب الحيرين. وكاياس بن قبيصة بن ابي عفراء الذي ملك مدَّة بالحيرة. وكابي زُبيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طيّ قال ابن سعد في وفادات العرب (Skizzen, IV, ٥١): « عدي بن حاتم كان على النصرانية » ومثلهُ ياقوت (٣ : ٩١٣) والمستشرقون اليوم مجمعون على نصرانيَّة طيّ. وقد مرَّ بك قول الرحَّالة بلغراف (ص ٦٢٨). وكذلك العلَّامة فلهوسن (١ خصَّ طيّ بالعلائق القديمة مع النصرانيَّة وختم قولهُ بهذه الالفاظ ٥ لو لم يظهر الاسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الاحمر الى خليج العجم كلها نصرانيَّة (٢ »

٢٦ ﴿ عاملة ﴾ قبيلة ينتسبون الى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثمَّ انتقلوا الى جهات الشام واليهم تنتسب جبال عاملة. وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام. وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان (ص ٥٩) في جملة العرب المتنصرين الذين حاربوا في تبوك وسول الاسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولخم وجذام. وكذلك الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٤٤٦) نظم عاملة في جملة احلاف الروم. قال في تاريخ سنة ١٤ : « لمَّا اصافت الروم ساروا هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعهُ من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسَّان بشر كثير »

٢٧ ﴿ العباد ﴾ قال ابن خلكان (éd. de Slane, 98): « العباد عدَّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى يُنسب اليهم خلق كثير منهم

---

١) اطلب كتابهُ عن اديان العرب Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 211

٢) وهذا نصُّهُ الاصلي: « In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rabi'a-Tamim hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen, so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze nordlich Arabien, vom Rotem bis zum Persischem Meerbusen, christlich gewesen. »

عديّ بن زيد العبـادي الشاعر ". وقد روى هشام بن الكلبيّ (اطلب تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٦٩ — ١٧٠) عن نصارى العرب في العراق ما نصهُ :

وكانت يوضم على ريف العراق يتزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الاولى تنوخ ومنهم قضاعة . . . وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويتموضعا غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الاقامة في مملكة اردشير وخرجوا الى البريّة . والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة واوطنوها . والثالثة الاحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ انا كنين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فلذلك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومهُ . . .

امّا تسميتهم بالعباد فانّ أبا الفرج في الاغاني (١١ : ١٦٢) علّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتّخذوا كشعارهم « يا آل عباد الله فسُمّوا العباد »

٢٨ ﴿ عبد الدار ﴾ كانوا فرعاً من لخم وسكنوا مدّةً مكّة وكانت لهم فيها الزعـادة والسقاية . ثمّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١

٢٩ ﴿ عبد القيس ﴾ هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في بلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانيًا (٢ . ومن هذه القبيلة كان بحيرا الراهب النسطوري (٣ والرئاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٦٧) : « وكان (الرئاب) على دين عيسى عليه السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية منادياً ينادي : ألا انّ خير الناس رئاب الشنّي »

٣٠ ﴿ عبس وذبيان ﴾ هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤ . ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتهما وانما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن ذلك تنصّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في أيام داحس والغبراء .

١) اطلب سيرة محمد (Sprenger III, 432) ثم (Wellhausen, *Skizzen*, IV, 108)

٢) اطلب تاريخ ابن خلدون (٣ : ٣٠١) ثم Sprenger III, 372 و Wellhausen, *ibid.* 155)

٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس (٣ : ٣٥٧)

٤) اطلب تاريخ ابن خلدون (٣ : ٣٠٥ — ٣٠٦)

قال ابن الاثير في تاريخه (١ : ٢٤٢ — ٢٤٣) انهُ تلب الى ربه « فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فتوفّب به ». وكذلك الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان منادماً لملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل (ويروى نوفل) وكان النعمان نصرانيًّا وسرجون ايضاً نصراني رومي (١ فلا يحتمل ان يكون الربيع بن زياد من عبدة الاصنام . وادلّ من ذلك على النصرانيَّة في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونهُ خالد بن سنان ويذكرون انهُ كان نبيًّا . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٧٠) : « ذُكر عن النبي صلعم انهُ قال (عن خالد بن سنان) : ذاك نبيّ ضيعهُ قومهُ » . قال العصاميّ في كتاب سمط النجوم العوالي في انبـاء الاوائل والتوالي (٢ : ٥ روي انّ خالد بن سنان كان في زمن كسرى انو شروان وانهُ كان يدعو الناس الى دين عيسى وكان بارض بني عبس واطفأ النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لمسته من عابر سبيل »

وذكر العصامي في الكتاب عينهِ نبيًّا آخر لبني عبس اسمهُ حنظلة بن صفوان (ص ٦٩) قال انهُ دعا قومهُ الى الله تعالى وصنع المعجزات ثمّ قتلهُ قومهُ

امّا ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد انها دانت بالنصرانية . وما لا ينكر انّ شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانيًّا بشهادة تاج العروس (١ : ٣٣٧) نقلًا عن الصغاني والاصمعي قال في جملة ترجمة « الصليب » : « والصليب العلَم قال النابغة :

ظلّت إقاطيعُ انعام مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الرَّوداء منصوبِ

... وقيل سمّي النابغة العلَمَ صليباً لانّهُ كان نصرانيًّا » (له بقيّة)

١) اطلب الاغاني (١٤ : ١٤ و ١٦ : ٢٢) ثمّ شعراء النصرانيَّة (ص ٧٨٩)
٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (ص ٦٩)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ طور عبدين – الجزيرة – زاخو (تابع)

كنّا قبل خروجنا من مديات ابرقنا الى السيد عمنويل يوسف رئيس اساقفة سعرت لينبئنا عن الطريق امينة فلم يأتنا جوابهُ وذلك ما حدا بنا الى ان نقدّم سفرنا الى الجزيرة. ثم علمنا بعد ذلك بان الجواب كان سلبيًّا الّا انّ ادارة البريد ضبطتهُ لئلّا ينتشر خبر ثورة الاكراد على النصارى

يوم الاثنين الواقع في ٤ تشرين الثاني سرنا في وسط طور عبدين قاطعين حزونهُ وبطونهُ بين اشجاره من العنص والبلوط والبطم وكانت الطريق مقفرة لم نعاين فيها من وقت الى آخر غير افراد من الحطّابين او بعض المكارين من الاكراد. ولقينا غير مرّة ايضاً في تلك الجهات الى الموصل بعض النفر اليزيديين المعروفين بعبدة الشيطان وهم قوم يسكنون في جنوبيّ طور عبدين في جبل سنجار من ولاية الموصل ولهم من العادات الغريبة والتقاليد الخرافيّة المستترة ما كشف عنهُ التناع علماء زماننا. وقد سبق حضرة الاب انستاس الكرملي سنة ١٨٩٩ ودوّن في المشرق (٢ : ٣٢ الخ) من الفصول المسهبة في تعريفهم واوصاف احوالهم ما يغنينا عن التكرار

حللنا في مساء النهار في دير للسيامقبة يُعرف بدير المُنر وهو دير كبير ذو ابنية قديمة محصّن في وجه شذّاذ الاكراد ولهُ كنيسة قديمة على طرز كنائس القرن الخامس او السادس للمسيح يُنزل اليها بالدرج وتسندها السواري الضخمة. وكانت هذه الكنيسة غنيّة بحليّها وآنيتها فمرّ بها تيمورلنك في اواخر القرن الخامس عشر واخذ مصاغاتها

ورهبان دير العمر قليلون يقضون مظم نهارهم في استثمار املاكهم ولا يكادون يعرفون غير القراءة البسيطة في العربية والسريانية وليس عندهم مكتبة. وكان اسقف مديات يوم مرورنا نازلًا بينهم ليتقاضى منهم الاعشار فلم نجده ارقى كثيرًا من رهبان الدير وباعنا بنفسهِ علوفة دوابنا ولم يجد ما يباحثنا فيهِ غير امورهِ الماديّة

وفي هذا الدير سربٌ مظلم تحت الارض في جدرانهِ وجوانبهِ اجران مكلسة

يزعمون انَّ فيها عظاماً للشهداء. لم يستطع الرهبان ان يفيدونا شيئاً ثابتاً من اخبارهم وهم يدعونهم شهداء المصريين

وفي غدٍ توجهنا الى جهة الشرق قاصدين أزَخ ومررنا عند الظهيرة بقرية يسكنها اليعاقبة وجدهم تدعى باسبرّينا موقعها على تلّ وفيها ايضاً كنيسة قديمة وبعض كتب طقسية ثمينة تضعضعت فابتاعها الاميركيون. وكانت نواحي باسبرينا في سالف الأيام حافلة بالاديرة والنسّاك وكلّها اليوم اثر بعد عين ورُبَما بقي من تلك الاديرة بعض اطلال او قسم من ابنيتها كدير مار اوكين وفي الغالب لا يسكنها الّا راهب واحد لنظارة ارزاقها. وفي جنوبي دير العمر آثار قصور شاهقة وابنية تخصّ منها بالذكر قصراً يُعرف بقصر حاتم الطائي والتقليد عند الاهلين انَّ بني طيّ كانوا يسكنون تلك الجهات وانَّ حاتماً سيدهم ابتنى لهُ ذلك القصر

ثم خرجنا من طور عبدين وانحدرنا الى البطائح التي يسقيها نهر دجلة وبعض سواعده وهناك تبتدئ المعاملة التي كان يدعوها قدماء السريان بازّبدى او بيت زبدا الشهيرة بخصبها

أزَخ بلدة صغيرة ذات ٤٠٠ بيت كانوا سابقاً يعاقبة دون استثناء. فلمّا جاء عمر باشا نحو سنة ١٨٤٠ لمحاربة الاكراد في جهات الجزيرة حالفهُ اهل ازخ وحاربوا معهُ اعداء الدولة لكن الاكراد اضمروا لهُ الشرّ وانتهزوا الفرصة بعد حين للاغارة على ازخ تحت قيادة اميرهم بدرخان فنهبوا وحرقوا واستاقوا الى السبي النساء والاطفال. وصرخ الازخيون الى الدولة فلم يكن من مجيب فطلبوا من المرسلين الكاثوليك ان يساعدوهم على فكّ اسراهم ووعدوهم بالانتماء الى الكثلكة اذا توفقوا في مساعيهم. فصار الاب ويكدُنّا اليسوعي في صحبة المسيو بوره .Mr E (Boré المنوط بسفارة فرنسة في الاستانة (وهو الذي بعد ذلك دخل في الاخوية اللازارية وصار عليها رئيساً عاماً ودخل كلاهما على بدرخان امير الاكراد وبحسن سياستهما ادركا غايتها وكسرا اغلال اسرى أزخ. اما اهل أزخ فلم يقوموا بوعدهم الّا نحو ٣٠ عائلة ارتدّوا الى حجر الكنيسة بهمّة الآباء الدومنكيين نحو سنة ١٨٨٠ فابتنى لهم الآباء معبداً صغيراً وفتحوا لهم مدرسة وهم اليوم متسكون بدينهم يزورهم المرسلون حيناً بعد حين. فنزلنا هناك تلك الليلة واتانا احد رهبان اليعاقبة

ببعض مخطوطات سريانية فابتعناها منها كتاب لغة سرياني بتصاوير ملوّنة وكتاب ايروتاوس تلميذ بولس الرسول وتماثيله الموهومة

المسافة من أزخ الى الجزيرة خمس ساعات في ارض سوية ذات تربة حسنة ومزارع نامية قطعناها في صباح النهار فبلغنا الجزيرة ساعةً قبل الظهر وحططنا الرحال في دير الاباء الدومنيكيين وكان يومئذٍ رئيسهم هناك حضرة الاب غلّان الذي كنّا اجتمعنا به سابقاً في فرنسة في دير فلاقيني سنة ١٨٧٥ وهو اليوم احد الزوّار الرسوليين في الرهبانيات المارونية الكرسية في لبنان. فاستقبلنا بكل لطف متحفياً بنا واخذ بمعالجة الاب يوسف شلفون رفيقي الذي كان عاوده المرض بعد خموده فنال الشفاء التامّ على يد حضرة رئيس الجزيرة

قضينا ثلاثة أيام في الجزيرة وكانت نيتي ان نسافر منها الى سعرت لانّ الاخبار الواردة منها ومن ديار بكر وماردين كانت لا تزال متناقضة. فمنها ما يقلق البال ويزعج الافكار ويروي نهباً وسلباً وقتلاً وضرباً ومنها ما كان على خلاف ذلك مطمئناً للقلوب نافياً لكلّ خطر. فاحببت ان أطّلع على صدق الخبر وصحّة الامر فذهبت مع اخي الى زيارة القائمقام وطلبت منهُ ان يرسل ضابطين في رفقتنا الى سعرت حسب منطوق بيوراردي والي ديار بكر. فبقي القائمقام واجماً ثمّ اقبل عليّ ليردّني عن هذا السفر الشاقّ دون ان يقرّ بما كان هناك من الفتن والمشاغب فالححت عليهِ حتى صرّح لي قائلاً: « ان كان لا مناص من هذا السفر فانتم وشأنكم امّا انا فلا اقبل عليّ المسؤلية في ذلك » فاتضحت لي حينئذٍ صحة الاخبار الواردة عن المذابح وغارات الاكراد في تلك الجهات. ومن ثمّ عدلنا عن السفر الى سعرت وكتبت الى سيادة مطرانها معتذراً لهُ عن اهمال زيارتهِ

وكانت سعرت في تلك المدّة اضحت في حالة حرجة فانّ الأكراد كانوا نهبوا ضواحيها وقتلوا فيها بعض الفلّاحين النصارى ودخلوا دير مار يعقوب للكلدان الكاثوليك وسلبوا امواله وحاصروا سعرت طالبين قتل المسيحيين الذين فيها. وكان الامر تمّ لولا قرينة الفريق التي كانت نصرانيّة فرنجية فالتجأ اليها السيد عمنويل يوسف توما فانقذت النصارى من ايدي اولئك الوحوش الضراة بعد ان قضى المسيحيون ثلاثة اسابيع قاسوا فيها امرّ الاهوال

وبينما كنّا نحن ساعين في انجاز مقاصدنا كان رؤساؤنا في بلاد الشام في غاية الهمّ وانشغال البال بسببنا فانّ مكاتيبنا التي كنّا نحرّرها لهم في كل اسبوع لتوقفهم على احوالنا كانت انقطعت عنهم فتضبطها البوسطة المحلية. واذ كانت اخبار مذابح اورفا وديار بكر وماطية ومرعش قد انتشرت في جوانب اوربّا غلب الظنّ على اخوتنا في الشام انّنا ايضاً ذهبنا ضحايا تلك المشاغب فخابر رؤساؤنا السفارة الفرنسوية في استنبول ليعلموا ما حلّ بنا فسعت السفارة بالامر وراجعت المقامات الايجابية دون ان تنال بصددنا المعارمات الشافية. فشاع الخبر انّنا قُتلنا وقرأنا ذلك في الجرائد الاوربيّة عند وصولنا الى الهند. امّا نحن فكنّا في الاطمئنان التام لم نجد شمرةً عن الخطّة التي سبقنا الى تحديدها ما عدا سفرنا الى الجزيرة كما رأيت

ثم صرفنا مدّة اقامتنا في الجزيرة لتفقد آثارها وزيارة ارباب طوائفها

الجزيرة مدينة وسطى مركز قضاء لاحقة بسنجق ماردين في لحف جبل الجودي الذي يزعم العرب انهُ الجبل الذي فوقهُ قرّت سفينة نوح بعد نهاية الطوفان. وقد دُعيت بالجزيرة لانّ نهر دجلة يحدق بقسم منها على شبه الهلال وهي في وسط رستاق مخصب واسع الخيرات. والعرب يدعونها جزيرة ابن عُمر وهو احد بني تغلب ولعلّهُ حسن بن عمر بن خطّاب التغلبيّ على ما روى ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧١). فهذا كان يملكها فعمل لها خندقاً اجرى فيهِ الماء ونصب عليهِ الرحى فاحاط الماء بها من جميع جوانبها فنُسبت اليهِ. وكانت الجزيرة تسمّى ايضاً بازبدى اشتقوا اسمها من السريانيّة بيت زبدى (ܒܝܬ ܙܒܕܝ) او (ܒܝܬ ܐܘܡ ܐܚܘܗܝ)

ودعوها ايضاً باقردى (ܒܝܬ ܩܘܕܘ) نسبةً الى جبل قردو وهو الجوديّ. وقال البعض انّ بازبدى وباقردى قريتان كانتا متقابلتين الاولى في غربي دجلة والثانية في شرقيهِ. وروى ياقوت لشاعر فيها قولهُ يفضلها على بغداد :

بقردى وبازبدى مصيفٌ ومربعٌ وعذبٌ يحاكي السلسبيل بَرُودُ
وبغدادُ ما بغدادُ امّا تراجا فحمّى واما بَرْدُها فشديدُ

والجزيرة سبقت تاريخ الميلاد ورد ذكرها في جغرافية بطليموس وهو يدعوها صفا. وكذلك تكرّر ذكرها في تاريخ النصرانية الاولى فانّها كانت في مقدّمة

المدن المتنصرة وكان لها اسقف على كورتها وبعد ان ملكها الرومان مدة صارت في حوزة الفرس حتى فتحها العرب اما اهلها فبعد ان كابدوا لاجل الايمان اشدّ العذابات واستشهد كثيرون منهم في سبيل الدين انتموا في القرن الخامس الى البدعة اليعقوبية وبقوا على ذلك الى القرون المتأخرة حيث عادت الكثلكة واناروا قسماً من اهل تلك البلاد. واهل الجزيرة اليوم مع القرى المجاورة التابعة لها نحو ١٢٠٠٠ نفس يقسمون ثلاثة اقسام ثلث منهم مسلمون وثلث ارمن غريغوريون ويعاقبة وبروتستانت وثلث كاثوليك من الكلدان ثمّ من الارمن واقلّ منهم السريان. وللآباء الدومنيكان في الجزيرة رسالة فتحوها سنة ١٨٨٤ سنتين بعد فتحهم لدير سعرت ولهم هناك مدارس عامرة للصبيان والبنات وكان يعلم في مدرسة الصبيان وقت سفرنا احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في بيروت

وفي الجزيرة عدّة مآثر قديمة دينيّة ومدنيّة. فمن ابنيتها القديمة قلعتها الشيّدة بالحجارة العاديّة السوداء البركانيّة والبيضاء الصلبة. لها مدخل فخيم يعلوه اسدان منقوران في الصخر. وهي اليوم خراب. وكذلك خرب سورها الحصين الذي كان محدقاً بها واستولى الدمار على جسر كبير كان ممتدًا فوق النهر ترى على جوانبه تمثال اسدين آخرين مع صورة منطقة البروج وكتابات عربيّة واقية على ما يظهر الى اواخر القرن الثالث عشر كما ترى في قلعة حلب التي سبق وصفها في المشرق (٢ : ١٨— ٢٠) وللمسلمين في الجزيرة جامع قديم بني قسمٌ منهُ بأنقاض ابنية عاديّة. وفي ضواحي الجزيرة آثار اخرى منها ما يرتقي الى عهد ملوك الفرس ومنها ما هو اقدم زمناً خلّفهُ ملوك اشور كبعض كتابات بالقلم المساري. اما الآثار الدينيّة فمنها كنيسة الكلدان الكاثوليك واليعاقبة وكلتاهما من طرز الكنائس السابقة لعهد الاسلام يُنزل اليها في بطن الارض كالاسراب وفيها النقوش القديمة والسواري الضخمة. والكلدان في هذه السنين الاخيرة قد رمّموا الكنيسة وفتحوا لها النوافذ وزيّنوها بآنية التقديس. وزرنا سيادة اسقفهم هناك السيّد يعقوب اوراهام الذي يرعى ابناء طائفته بالتقى منذ سنة ١٨٨١ ولا يزال مواصلاً لهمّته حتى اليوم

اما السريان الكاثوليك فقد ابتنوا لهم كنيسةً صغيرةً في عهد اوّل اساقفتهم هناك السيد فلابيانوس بطرس متاح سنة ١٨٦٥. وكان اسقفهم عند مرورنا السيد

يعقوب متى احمر دقته الطيب الذكر تشرفنا بزيارته في ماردين حيث تواعدنا على الاجتماع في الجزيرة وهو في اهبة الرجوع اليها لكنَّ الاضطرابات التي حصلت وقتئذٍ اضطرَّتهُ الى البقاء في ماردين وفيها استأثر الله به سنة ١٩٠٨ بعد ان تولَّى نيابتها البطريركيَّة نحو ٣٠ سنة

وللارمن ايضاً في الجزيرة كنيستان الواحدة للغريغوريين والأُخرى للكاثوليك وهما متوسطتان في الكبر حسنتان

اما الآباء الدومنيكان فهتمون بكل الاعمال الرسوليَّة في الجزيرة والقرى المجاورة ففي عهد رئيسهم المفضال الاب غزالس دوفال اتَّسعت الرسالة الدومنيكانية الى سعرت والجزيرة وطور عبدين. وفتح بمساعيه المشكورة هناك عدَّة مدارس للاحداث. ويساعد المرسلين راهبات دومنيكيات لتهذيب الفتيات والاهتمام باليتامى ولهنَّ مستوصف في الجزيرة يؤدين فيه خدماً عظيمةً لاهل تلك الانحاء المحرومين من الاطباء والصيادلة لاسيما ان الجزيرة تكثر فيها الحمَّيات لاستقاع مياه دجلة في بعض جهاتها. فهذه الخدم المتنوِّعة قد اثَّرت في قلوب كثيرين من اليعاقبة والغريغوريين وبهمَّة المرسلين قد نما عدد الكاثوليك

بُعيد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٨ تشرين الثاني شكرنا الآباء الدومنيكيين على ضيافتهم ثم سرنا في وجهة الموصل فقطعنا دجلة على جسر من القوارب المتلاصقة ورقينا في الجبال المشرفة على وادي دجلة فكنَّا نسرِّح النظر في تلك المزارع المخصبة والحدائق الغناء والاشجار الوارفة الظلال. وبعد خمس ساعات حللنا عند غروب الشمس في قرية نهروان فبتنا في منزل احد سكانها. ونهروان هذه كثيرة المياه نامية الخيرات. فيها نصارى من السريان الكاثوليك واليعاقبة. وقد وجدوا في جوارها مناجم من الفحم الحجري فاستثمرتها شركةٌ وطنيَّة مدَّةً ونقلوا الفحم الى بغداد ثمَّ اهملوها لكلف نقل الفحم وتعدينه

وفي غلس يوم السبت بعد صلاتنا سرنا في سهول واسعة وعلى شمالنا تنتصب جبال كردستان الآهلة بجيل الاكراد وكان يمتاز بينها جبل يرى عن بُعد كانهُ شبه سفينة فذاك الجودي او جودي داغ الذي يرتأي العرب انَّ عليه نزلت سفينة نوح. والثلج يغطيه في اكثر شهور السنة. وكان هناك قديماً دير للناطرة تُرى حتى اليوم

بقايا من ابنيته كان يدعى دير السفينة ورد ذكرُ حريقهِ سنة ٧١٦ للميلاد في التاريخ المنسوب لديونيسيوس التلمحري (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ج ٢ ص ١١٣) ولعلَّ الآثار التي توجد هناك الى يومنا هي من الدير المذكور فيزعم مكتشفوها انَّها من بقايا سفينة نوح. وفي معاطف الجبل قصر كان يدعى قديمًا قصر ثمان او ثمانين (Ὀγδοήκοντα) فزعم بعض الكتبة انهُ دُعي بذلك لان الثمانية الناجين من الطوفان اختاروه بعد خروجهم من السفينة

وفي ذلك اليوم دخلنا في ولاية الموصل التي كان اهلها حاصلين على الامان بينما كانت دماء النصارى تهراق سيولًا في الولايات الغربيَّة والشماليَّة كحلب وديار بكر ومعمورة العزيز ووان وبتليس فاستحقَّ عبد الحميد ان يُدعى لاجلها بالسلطان الدموي

وولاية الموصل متسعة يبلغ تكسير مساحتها ٧٥,٧٠٠ كيلومتر مربع يحدُّها في الشمال ولايتا وان وديار بكر وفي الجنوب ولاية بغداد وفي الغرب متصرفيَّة الزور. اما في شرقيها فتخوم العجم. يبلغ عدد اهلها نحو ٣٥٠,٠٠٠ النصارى منهم نحو ٥٠,٠٠٠ والباقون مسلمون ونحو ٢٠,٠٠٠ من اليزيديَّة والشبك والباجوران والصابئيَّة الذين ذكرهم المشرق (٥ (١٩٠٢) : ٥٧٧)

عند هاجرة النهار اشرفنا على مدينة زاخو الواقعة بقرب نهر الخابور المعروف بالخابور الصغير من روافد دجلة وهو المذكور في نبوَّة حزقيال فالنهر هناك ينقسم قسمين على شبه حلقة كبيرة وزاخو في وسط الحلقة اي في جزيرة الَّا بيوت النصارى منها فهي مبنية على ضفة النهر الشماليَّة حيث كنيسة الكلدان الكاثوليك وهناك نزلنا في ضيافة مطران زاخو السيد تيموثاوس المقسي المعروف بفضلهِ وسعة معارفهِ وهو احد المتخرجين في مدرسة انقشار الايمان الشهيرة. قضينا في دارهِ الاسقفيَّة ليلةً عددناها من اسعد ساعات سفرنا. وقد اطلعنا سيادتهُ على بعض المآثر الادبيَّة التي امكنهُ الحصول عليها عند الفاطرة وافادنا اشياء كثيرة عن تاريخ تلك الجهات واحوال اهلها وسيادتهُ مولود في القوش وطن كثيرين من مشاهير الكلدان وكان تولى رعاية ابرشيَّة زاخو قبل وصولنا بثلاث سنوات وهو الى اليوم يتفانى في خدمة اهلها

الكلدان البالغ عددهم في زاخو وضواحيها نحو ٤٠٠٠ نسمة ليس نصارى غيرهم الا قليل من السريان الكاثوليك

زاخو مدينة قديمة كما يظهر من بقايا حصن قديم يحدق به القسم الايمن من الخابور وقد بقي من الحصن برج مثمن الزوايا متين البناء قد استولى الخراب على داخله. ومن المحتمل انهُ من عمل الفرس. وهناك ايضاً نادٍ واسع ذو نوافذ واعمدة ونقوش منقورة على جوانبهِ قد اتخذتهُ الحكومة كمقام لفرقة من جنودها

ومع قدم مدينة زاخو لا تجد لها ذكراً في التاريخ ولا في معاجم البلدان وقد ظنَّ البعض انها هي بلدة الحسنيَّة المجاورة التي اشار اليها المقدسي وياقوت لكنَّ رأيهم ليس راهناً. واسم «زاخو» كلداني معناه الانتصار وفيهِ دليل على موقعة جرت هناك فدعاها الحزب المنتصر بهذا الاسم

والكلدان الكاثوليك في زاخو كانوا قديماً نساطرة فارتدُّوا على ايدي المرسلين الدومنيكان وفي زاخو مدفن احدهم الاب سولديني المتوفى سنة ١١٧٩

اما ابرشية زاخو فحديثة العهد كما اثبتهُ سابقاً حضرة القسّ بطرس نصري (في المشرق ٩ (١٩٠٦): ٦٨٩) وعدَّ هناك الاساقفة الخمسة الذين نُصبوا على هذا الكرسي منذ السنة ١٨٥٩

وفي صباح اليوم التالي الموافق ليوم الاحد جاء اهل زاخو ليسلِّموا علينا وحضر كثيرون منهم قدَّاسنا ثمَّ ودعناهم في ضحى النهار قاصدين قرية مار يعقوب ودَيرها للآباء الدومنيكان (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Die Weisen Narren des Naisaburi. Inaugural-Dissertation z. Erlangung d. Doktorwürde von Paul Loosen. *Strassburg, K. J. Trübner*, 1912, p. 47

كتاب اخبار عقلاء المجانين

كثيراً ما تجد في كتب أدباء العرب فصولاً في حِكم وردت على ألسنة المجانين واخباراً من سيرهم من شأنها ان تكون عبرةً للعقلاء. بل صنَّف بعضهم كتباً في هذا الصدد منها كتابان صيرا على آفات الدهر الواحد منسوب لابي الازهر محمَّد بن

زيد (ويروى مزيد) النحوي المتوفى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) في مكتبة مدريد المعروفة بالاسكوريال والآخر في برلين منسوب الى ابي القسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري معاصر ابي الازهر المذكور وكلاهما يُدعى باسم واحد الّا انّ الكتابين يختلفان في الابواب والمواضيع فعمد الاديب پول لوزن من طلبة كليّة بون في المانية الى درس هذين الكتابين واثبات ما يوجد من العلاقة بينهما وبين مؤلفيهما مع مقابلة ابوابهما واخبارهما وذكر ما نقلهُ عنهما الأدباء في تآليفهم فجاء كتابهُ نقدا حسنًا لهذا الاثر القديم قدمهُ للجنة علماء بون ليرشحوه به الى رتبة الدكتوريّة. فاعجبنا هذا الانتقاد العلمي وتمنينا لو جارى مواطنونا المؤلف في تدقيقه وتحقيقه ل. ش

Précis d'Allographie assyro-babylonienne par J. Halévy. Paris. E. Leroux. 1912 pp. XXIX-472

الخطّ الرمزيّ الاشوريّ البابليّ

أا بسط الملك « اور انگور » سيطرتهُ على تخوم بابل جنوبها وشمالها تسمّى بتلك « شومر واكّاد » اي المالك على ناحيتي بلاد بابل الجنوبيّة المدعوّة بشومر لما كان يجري فيها من الانهار والشماليّة المعروفة باكاد اي الصلبة لصلابة ارضها. فظنّ قوم من العلماء انّ هذين الاسمين يدلّان على عنصرين مختلفين احدهما ساميّ اي عنصر اكّاد والثاني غير سامي اي عنصر شومر وزعموا ان كلًّا من العنصرين كانت لهُ لغتهُ الخاصة وكتابتهُ المنفردة. فقام بعض المستشرقين وانكروا هذا الاختلاف ومن جملتهم الاستاذ الفرنسوي الشهير ج. هالوي الذي كتب الفصول المسهبة في المجلّات العلميّة ليثبت ان شومر واكّاد امّة واحدة من اصل واحد وان لغتها لم تختلف الّا في بعض العرضيّات. واذ كان العلماء المخالفون يسندون رأيهم الى كتابات تختلف صورتها الخطّية جعل المسيو هالوي بدرس متواصلة يبين انّ الخطّ الشومري هو رمزي كالخط الهيروغليفي بخلاف الخطّ الاكّادي الذي يدلّ على اصوات معلومة مشتقة بالاصطلاح من القلم الرمزي الاصلي كما يدلّ الخطّ الديوتيكي على الاصوات عند المصريين. فقام جدال طويل بين الفريقين وكل منهما يدافع عن رأيهِ بالادلة التي يراها الصواب غير انّ رأي المسيو هالوي قد اجتذب اليهِ القسم الاكبر من المستشرقين. ولتأييده وتوسيع نطاقهِ قد جمع الاستاذ المشار اليهِ كتاباتهِ المتفرّقة في ذلك وعرضها على

صورة جديدة قريبة المنال تثبت مزاعمهُ وتنفي اقوال مناظريهِ. فجاء منهـا كتاب واسع ضمّنهُ ملحوظاتهِ اللغويَّة المتواصلة في توحيد لغتَي اكّاد وشومر. ولا شكّ ان هذا التأليف بوفرة ادلّتـهُ يزيل الشاكل ويثبت وجه الحقّ. ونحن نتمنّى لهُ رواجاً كبيراً بين كلّ من يهمّهُ درس اللغة الاشوريَّة ل. ش

O. Reschер : I. Arabische Handschriften der Koprülü - Bibliothek (*Sonderabdruck aus den Mitteil. d. Semin. f. orient. Sprachen z. Berlin*) = II Idem. Arabische Handschriften des Top Kapu Seraj (*Estr. d. Rivista degli. Studi Orientali*, Roma, 1912, vol. IV. 695-733 = III M-Y Bitar. Catalogue des Manuscrits précieux et Livres rares arabes du Comte Rochaid Dahdah. *Paris*, 1912, p. 94

مكاتب كوبريلي وطوب قپو سراي والكنت رشيد دحداح

بعد اعلان الدستور اضحت مكاتب الاستانة المقفلة قريبة المنال بحيث يمكن الادباء ان يتصفحوا مخطوطاتها ويستفيدوا من كنوزها الادبيَّـة. فرأى بعض المستشرقين انَّ احسن خدمة يقدّمونها للعلماء ان يدوّنوا اسماء مآثر كل مكتبة ويعرّفوا مضامينها. وللدكتور ريشر في هذا الامر فضلٌ مشكور فانَّهُ وصف عدَّة خزائن كتبيَّة من خزانات حاضرة السلطنة. وممَّا نشرهُ حديثاً وصف خزانتي كوپريلي وطوپ قپو سراي فعرَّف اخصّ مخطوطاتها ووصف من الاولى ١٢٢ كتاباً ومن الثانية ١٣٨ كذلك وقد اختصّ منها كتب الادب والتاريخ والعلوم. وذلك على الطريقة الجارية عند العلماء بتعريف خواصّ كل كتاب ومؤلفهِ وزمانهِ وبقيَّة فوائده — ونضيف الى ذكر هذين الكرّاسين قائمة ثالثة وضعها احد تلامذة كليَّتنا الادباء نزيل باريس ميشال افندي بيطار وصف فيها ما خلفهُ من المطبوعات والمخطوطات فقيد العلوم الشرقيَّة الكنت رشيد دحداح. وهي عبارة عن ٧٢٦ كتاباً بينهـا نحو ٣٠٠ من المخطوطات التي كان جمعها الكنت في بلاد الشام ومصر وتونس ومنها الكتب النادرة نخصّ منها بالذكر تأليفاً جليلاً صنفهُ الكنت في تاريخ العرب وآدابهم دعاهُ « السيَّار المشرق في بوار المشرق » خصّ جزءاً منهُ بتاريخ النصرانيَّة بين العرب. فأملنا انَّ هذه الخلفة الثمينة لا تتضعضع فيحصل عليها من يعرف قدرها ويفيد العموم بنشر بعض كنوزها الادبيَّة. ل ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفه سليمان مصوبع المحامي . الجزء الثالث

في مطبعة العرفان في صيداء (ص ٢٤٣ — ٣٦٠)

هذا المعجم المفيد جارٍ طبعهُ بسرعة مشكورة تدلّ على انَّ مؤلفهُ قد استكمل كل موادّه ولن يتأخر عن نشره تماماً . وهذا الجزء الثالث يتناول مظانّ حرف الجيم كلهِ وقسم كبير من حرف الحاء الى « المستحقّ » . وهو في كل مادّة يذكر القانون الصادر بخصوصها مشيراً الى مضمونهِ الخاصّ في جدول منفرد لذلك والى اسانيده في ذيل الكتاب . ومن الموادّ المهمّة في هذا الجزء مادّة « الجمعيّة » (٢٧٥ — ٢٨١) و « الاجانب » (٢٨٢ — ٢٩٠) ففي باب الجمعيّات قرأنا (ص ٢٧٦) انهُ « ممنوع بتاتاً تأليف الجمعيّات السريّة » واللاسونيّة كما هو معلوم داخلة في سلكها ل . ش

اطرب الشعر واطيب النثر

من آثار قدماء الادباء واهل العصر

القسم الاوّل اطرب الشعر . الطبعة الثانية

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٤١٥)

نشرنا قبل خمس سنوات هذا المجموع اللطيف الذي اقتطفناه من حدائق مجلّة المشرق ترويحاً لنفوس الادباء ولاسيما طلبة المدارس فراق الكتاب في اعينهم واقبلوا عليه برغبة لوفرة موادّه الادبيّة وفنونهِ الكتابيّة حتى نفد بوقت قليل طبعهُ . وكانت في اثناء ذلك زادت في المشرق المواضيع الرائقة النثريّة والشعريّة فرأينا ان نجعل هذه الطبعة قسمين نخصّ الاوّل منها بالمنظومات والمقاطيع الشعريّة ونفرد الثاني للآداب النثريّة . فهذا القسم الاوّل « اطرب الشعر » يحتوي على نيف ومئة قصيدة او قطعة من النظم ظهرت في السنين الخمس عشرة من مجلّة المشرق . وقد قسمناها تسهيلاً للمراجعة ابواباً شتى مباشرةً بالعزّة الالهيّة والسيد المسيح ثمّ مريم العذراء واسرار حياتها ثمّ الكنيسة ورأسها واسرارها المحيية ثمّ القصائد الدينيّة والزهديّة ثمّ المنظومات الاجتماعيّة ثمّ القصائد التاريخيّة وادبيات شتى . وفي اخرها بعض الاناشيد العاميّة من اقوال مشاهير القوّالين في لبنان . فبلغ هذا

القسم ٤١٦ صفحة يجد فيه عموم الادباء وعلى الأخص احداث المدارس ما يفكّهُ البابهم ويشحذ قرائحهم وينهج لهم اساليب النظم. ولا نشكّ انهم يتلقّونهُ بمزيد الاقبال ويزينون بمنظوماته ذاكرتهم فيتناشدونها في مجتمعاتهم ويتلونها على مسامع اهلهم وفيها كلُّ معنى شريف وكل لفظ لطيف ظريف فضلًا عن موافقتها للاحوال العصريّة وللذوق الجديد. بارك الله في قائليها ومنشديها وانمى عدد ارباب الاقلام الذين يورون زناد الافكار لخدمة المبادئ الدينيّة والآداب الاجتماعيّة وينزهونها عن كل ما يشين النفوس البارّة او يجعلها عثرة في سبيل الخير العامّ. اماّ القسم الثاني من هذا المجموع « اطيب النثر » فقد سبق وصفهُ العام الماضي اذ تقدّم طبعهُ على القسم الاوّل (راجع المشرق ١٩١١ ص ٥٥٥) ل. ش

امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية

للصحافي الكبير ستاثوس فوتيراس عرّبهُ عن اليونانيّة الاستاذ غطّاس افندي قندلفت

طُبع في المطبعة الوطنيّة في طرابلس الشام سنة ١٩١٢ (٥٧ ص)

لا ريب ان المسلمين لمّا فتحوا مملكة الروم وادخلوا في حوزتهم الشعوب النصرانيّة منحوا لرعاياهم النصارى امتيازات لا تقوم لهم قائمةٌ دونها. اخصُّها تدبير رؤساء النصرانيّة لامور مرؤوسيهم في كل الدينيّات واحوال الشرع. وقد سعى كثيرون في تعريف هذه الامتيازات وبيان حدودها فمن ذلك مقالات كتبها صحافيّ يوناني شهير يُدعى ستاثروس فوتيراس في جريدة نيولوغس اليونانيّة فاحبّ حضرة الاستاذ غطاس افندي قندلفت مدير المدرسة الاكليريكيّة في البلمند ان ينقلها الى العربيّة تعميماً لفائدتها فنشرها في كرّاس اهدانا منهُ نسخة. فنشكر لحضرة المعرّب وننبّههُ انّ كثيرين سبقوا الصحافيَّ ستاثروس فوتيراس واتوا بما هو اوسع واثبت منهُ لاسيما الكنت دي جيهاي (le Comte F. van den Steen de Jehay) في كتاب جليل هذا عنوانهُ de la Situation légale des Sujets Ottomans non-Musulmans) طبعهُ في بروكسل سنة ١٩٠٦ في ٥٥٥ صفحة والمؤلف لا يدع بحثاً الّا خاض فيهِ واسندهُ الى اثبت الاسانيد. وفي كتاب الامتيازات للمسيو ستاثروس اشياء لا يجوز قبولها دون دليل مقنع فمن ذلك الهدة

الممنوحة من عمر بن الخطّاب للبطريرك صوفرونيوس الاورشليمي (ص ٥ — ٧) فاننا سبقنا وانكرنا صحة هذه العهدة في المشرق (١٢ (١٩٠٩) ص ٦٢٩ — ٦٨٠ مع عهود اخرى شبهها تناقلها النساطرة واليعاقبة والارمن وكلها موضوعة . ومهما كان من امر هذه العهود لا شكّ ان للنصارى امتيازات قديمة وحقوقاً مرعيّة لا يجوز انتهاكها لاسيما بعد ان قرّرتها الدولة العثمانية غير مرّة . امّا المعاهدات الدولية بخصوص حماية نصارى الشرق فكان لفرنسة السبق في ابرامها ولم تحصل بقية الدول على امتيازات فرنسة الّا بعدها بزمن طويل . وكان الأولى بالمؤلف ان لا يخلط بين الامتيازات القديمة التي للبطاركة الشرقيين والامتيازات الدولية فيتتبع في التاريخ اصول كل منها وشروطها واحكامها ليس لليونان فقط ولكن لبقية الكنائس ايضاً . وياليته امكنهُ ان يكتشف العهدة المعطاة للبطريرك جناديوس من محمّد الثاني او يثبت لنا مضامينها . ومن ثمّ لا تعدّ هذه المجالة كتأليف موطد الاركان ودستور يمكن الرجوع اليه في تلك المسائل العويصة ل . ش

مدخل دروس القراءة

تأليف محيي الدين الخيّاط والتزام محمّد شاكر ياسين
طُبع في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ (ص ٤٨)

يمتاز هذا المدخل بحسن التنسيق وسهولة الاسلوب والتفنن في المواد بحيث يتوى الطالب على تعلّم القراءة في وقت قصير مع وجود لذّة في التعليم . وقد وقع في الكتاب مع هذا عدّة اغلاط طبعيّة يجب اصلاحها في طبعة ثانية . فهو الرّصاص لا الرِصاص (ص ٣٤ و٣٥) والدُرْج لا الدَرْج (فيها) والجُلّنار لا الجُلْنار (٣٦) والبطّيخ (٣٧ و٣٨) والتِسْع (٣٩) والإثنين (٤٠ و٤٢) والرائحة الذكيّة بالذّال (٣٦) والأربعاء (٤٢) وعشرين وحزيران (٤٣) والإبن والإبنة (٤٢) . وكان الأولى في كتاب للاحداث ان تُنتزع منهُ عبارة حيض الارانب (ص ٣٩)

برنامج جمعية اخوة التعليم المسيحي الكاثوليكي بحلب

للسنة الحادية والعشرين من تأسيسها سنة ١٩١١ (ص ٢٥)

نهنّئ اعضاء هذه الجمعية ومدبريها ونشكرهم على نشاطهم وثباتهم في تأدية خدمتهم الصالحة لنفوس الاحداث . فان كان اصحاب الجمعيات الخيريّة يستحقون

الثناء لشفقتهم على ذوي البأساء فكم يكون احرى بالمديح اولئك الذين يتفانون في تهذيب عقول الناشئة بطبع اصول الدين في قلوبهم. فانها لعمري صدقة تفوق الصدقة المادّية على قدر ما تفضل النفس على الجسد. وفي هذا البرنامج دليل على انّ اخوة التعليم المسيحي في الشهباء لا يضنّون ايضاً بدراهمهم ليؤلفوا قلوب الصغار ويجتذبوهم الى حضور الاجتماعات بما يوزّعونهُ على المجتهدين من المساعدات المادّية. فتضاعف بذلك اجرُهم جازاهم الله خيرًا وألهم في كلّ مدن الشام شبّاناً مثلهم يقتفون آثارهم

ل. ش

شذرات

قصر بيت الدين هي قصيدة نظمها حضرة المعلم منصور ابي رزق بعد انفجار الذخيرة اللبنانيّة وقد وقف على تلك الاطلال وقرأها علينا فاخترنا منها ما يلي:

قَصرَ الشهابي قصرَ بيتِ الدينِ ... كم فيكَ من درسٍ ومن تلقينِ
يقفُ التصوُّر عند مجدكَ لُمحةً ... تغني الفكرَ عن دروس سنينِ
ويُبيح ذكرُ علاك غمًّا محزناً ... ويُسرُّ في مرآك كل حزينِ
ولكم يحومُ على جمالك شاعرٌ ... فيفيض منك الوحيُ فيضَ معينِ
حجّت اليك خواطري وعواطفي ... فتظلّمتُ نوحي او نثرتُ حنيني
ووقفتُ عند القصر وقفةَ حائرٍ ... ارعى الجمالَ بقلبة المفتونِ
فتجأتِ الآثارُ افخمَ عبرةٍ ... تُجري من العبرات كلَّ سخينِ
وعجبتُ للاتقانِ في البنيان والإ ... بداع في التصوير والتلوينِ
وسجدتُ للفنّ المكفّن في الثرى ... وبكيتُ فوق الموطن الدفونِ
ووقفتُ عند قصورهم وقصورنا ... أرثي العلى بتلهُّفي وأنيني
وشهدتُ كيف تزول امجاد الورى ... وتخلّف الآثارَ للتدوينِ

*

رفعَ الشهابيُّ البناء مجمّلاً ... ومعزّزًا بالرسم والتحصينِ

عالي الجدار كما تعالى قدره عن منتحى ذلٍّ ومضجع هُونِ
داران: دارُ الحكم قامَ وراءها الحرمُ الاميري للظباء العينِ
وتقومُ بينهما المشاهد فتنةً للناظرين وطرفةً لعيونِ
احواضُ ماء ماضخات الماء رشّـ اشاً كتبرٍ قد ذوبتَ ثينِ
ومداخلٌ ومعاطف ومواقفٌ وجنانٌ توليكَ مسَّ جنونِ
تلك المشارب كم افاء ظلالها رهطَ السرور مسهّداً لجفونِ
فيها مجالٌ للسرور ومعرضٌ وبها محالُ الكيف والتدخينِ
وتنوعت غُرف الحكومة عدّةً توحي المهابة لا تضنّ بلينِ
يا قاعة العامود كم من دعشةٍ بك للمريع وسجدةٍ لرصينِ
فلأنتِ تمثال الجمالِ مشخّصاً وفيفساوكِ غايةُ التزيينِ
والنقشُ عجبُ ما يقوم كشاهدٍ للمتقي بضناعةٍ وفنونِ
رحمتُ لابن كرامةٍ وشاكٍ في شبرٍ على وَتر العلى موزونِ
في كل بابٍ آيةٌ من نظمهِ تحيا وتحيي ذكرَ خيرِ دفينِ
فكأنهُ واميرهُ في مجدهِ يحكي ابنَ برمكَ في ذُرى هارونِ
ولهما ذكرُ المشاهيرِ الأُلى بهم تباهت باحةُ المأمونِ
عهدَ الامير المنقضي المرجوَّ عُدْ نحن الكرام وانت غيرُ ضنينِ

*

قد جئتُ بيتَ الدين بعد خرابها وهتفتُ واجزعي لبيت الدينِ
حلّت بساحتها الخطوبُ فزعزعت ركنَ الجنوبِ فباتَ غير ركينِ
ودعى الشمالَ على الجنوب تخوّفٌ من كيد خصم للبلاد كمينِ
وارتاعَ لبنان الاشمُّ لحادثٍ كالسرِّ في صدرِ الزمان مصونِ
ذاك انفجارٌ بالذخيرة مرعبٌ هال الجوار بضربة المجنونِ
فرواق غيمٍ من دخانٍ قاتمٍ ورديُّ رعدٍ هدَّ كلَّ حصينِ
وسماء بيت الدين تمطرُ ارضها بَرَدًا من « الخرطوش والكبسون »
كالدفع الرشّاش اذ يهمي حكت سربَ الطيور يخنّ فوق عيونِ
نسفت كما هدمت وقد قتلت من الـ ـشبّان كلَّ مروّع مسكينِ

وأرتني الايتام عند قبورهم كبلابل ينددنَ فوق غصونِ
متثاقلينَ من المصاب وتوبهم - للعين يشرحُ آية التأبينِ
لا كانَ تلعب عشر تموزٍ ولا ذاق الوليدُ اليتمَ كالقانينِ
أثلاثةَ الشهداء ان رموسكم سُتران بالريحان والنسرينِ ...

سراية التدرن اي السلّ بالعرق افادنا من حمص جناب الدكتور كامل افندي سليمان الخوري بما يلي :

" كان الاقدمون يعتقدون بسراية التدرُّن بواسطة الإفرازات العرقية قبلما قرَّر الشهير " ڤيلمان " وبعده العلّامة كوخ وجود الباشلس الدرني النوعي . ولكن بعد هذا الاكتشاف قلَّ اعتقاد القوم بسراية هذا الداء بواسطة مفرزات العرق وصاروا يوصون اهل المرضى باخذ الحذر خصوصاً من بصاق المسلولين ومفرزاتهم المعدية الخ . أمّا اليوم فقد عاد العلماء الى ترجيح سراية التدرُّن بواسطة العرق وهكذا فقد قرَّر العلّامتان " بونسه وبيري " في الاكاديمية الفرنسوية الطبيَّة في جلسة نيسان من هذه السنة اي ١٩١٢ القضايا الآتية : (اوّلاً) . انَّ عرق المتدرّنين من ذاته بدون ان تطرأ اليه مادَّة ما سارية من الخارج هو سامّ اي يحتوي مادة تسمَّى بعرف العلماء " جرثومة التدرُّن " (Virus) ويحتوي على باشلس التدرن . وقد تحققنا وجود المادَّة السامة في ٣٠٫٧٦ من مائة من الحوادث اي ما يقارب اربع حوادث من تسع من المتدرنين المصابين بآفات جراحيَّة او بالحدار الدرني او بالتهاب الصفاق الدرني الخ اي في آفات مغلقة تماماً وخفيفة الدوران والسير . (ثانياً) ان عرق المتدرنين يمكن ان يكون هو الحاصل والناقل لباشلس كوخ في اكثر من ٤١٫٦٥ من مائة من الحوادث . (ثالثاً) : ان اطراح باشلس التدرن بواسطة العرق يكون مرتبطاً بالتعفن التدرني من حيث تعممه في الدم وذلك متواتر الحصول وهذا الاطراح يبرهن على صحة هذا الفكر . وعليه فان ما يعرو المتدرنين من نوب العرق يجوز تنزيلهُ منزلة بحارين من شأنها افراز واطراح الباشلّسات الدرنيَّة . (رابعاً) ان عرق المسلولين هو عامل من عوامل العدوى ومخطر بحدّ ذاته إمّا بطريق مستقيم : اي ان تكون العدوى حصلت رأساً بدخول المادَّة السارية على طريق الجلد عند الشخص المنتقلة اليه . وامّا بطريق غير مستقيم : اي بتلويث قطع النسيج والشراشف والثياب والفرش الخ . (خامساً) :

ينتج مما سبق ان قوة العرق المعدية عند المتدرنين توجب التمسك بالتدابير والذرائع الخصوصية الوقائية تجاه كل شخص متدرن وان كانت آفاته جراحية مسدودة اي غير مكشوفة وسليمة السير والاعراض ومدفونة. (سادساً): ان هذه التدابير تقوم اولاً بالتطهير الدائم المستمر لكل المواد والامتعة المتلوثة بعرق المتدرنين مثل الانسجة والشراشف والثياب والفرش الخ. ثم يتمم عزل المتدرن الحقيقي في فراش على حدة اقله في بدء المرض. ثم عندما يتقدم الداء يجب ان يكون ساكناً في غرفة على حدة. ولا بدَّ من مقاومة فكرة انشاء البيوت الرخيصة الاجرة التي يزدحم فيها السكان الفقراء فان ذلك هو من اكبر دواعي انتشار هذا الداء الوخيم

اضطهادات البابويين للارثذكسيين — كنا نسمع ولا نزال بنا تأتيه حكومة روسية المطلقة من اضطهادات الكاثوليك في بلادها. ولنا على ذلك من الشواهد المنقولة عن الشهود العيانيين ما يملأ كتباً ضخمة الا انَّ لمجلة الكلمة تخابرات ملونة تبدي لها المرئيات على عكس ما هي فانها في عدة اعداد من مجلتها منها مقالة في عددها ١٢ من السنة الحالية عنوانها « قليل من كثير من اضطهادات البابويين للارثذكسيين » زعمت فيها انَّ الحكومة النمسوية تظلم الارثوذكس لسبب دينهم فتجبرهم على دفع الغرامات المالية وانها القت في السجن بعضاً منهم واقفلت كنائسهم وانها تعمل ذلك « لمجد البابا والبابوية » هكذا روت الكلمة. ونحن نعلن هذه المرة ايضاً بكذبها كما فعلنا في اعدادنا السابقة ولم تفتد حتى الآن نسبتنا اليها التزوير والمماحكة. وما نشهد به امام الله انا قد عشنا زمناً في بلاد النمسا وعرفنا كثيرين ممن سكنوا بولونيا حيث يوجد الارثذكس وكلهم بلسان واحد يشهدون لحسن معاملة الدولة لكل المذاهب بلا تمييز ولم نجد في المجلات والجرائد المتعددة التي تأتينا من كل انحاء اوربة حتى روسيا وبولونيا والمانية من يشير الى هذه الاضطهادات المزعومة فان كانت الكلمة لا تكذب كالعرف عادتها فلتذكر لنا كل حادث اضطهاد بظروفه لكي نستطيع ان نتبين صحته. وما احرى بنا ان نعدد نحن ما يصيب الكاثوليك لاسيما الروثان من انواع العذابات بسبب دينهم. فانَّ الجرائد على اختلاف نزعاتها تأتينا بتفاصيل جديدة من ذلك في كل بريد. ومن اراد الوقوف على شيء منها عليه بالعددين ٦ و٧ من مجلة الجمعية

(ص ٢٥٢ و ٣١٠) حيث نقل منشئها الفاضل اخباراً لا تدع ريباً في الامر . ولما نشرت مجلة « التمدُّن الكاثوليكي » في رومية اخبار اضطهادات حديثة للكاثوليك وناقضتها « المجلة الروسية العصرية » باسم الحكومة عادت « التمدُّن الكاثوليكي » في عددها الصادر في ٢٠ تموز ١٩١٢ وأيدت اقوالها بالادلة التي لا تُنقض وتتبَّعت مساوئ الحكومة وعمالها مع الكاثوليك واساقفتهم وكهنتهم وذلك رغماً عن صدور حكم القيصر المسانح الحريَّة للاديان فبقي المنشور الملكي حبراً على ورق . وكفانا شاهداً على ذلك انَّ مجلس الدولة حكم في ١١ نيسان من السنة المتصرمة على السيد ساجكوفسكي (Sajkowsky) اسقف سندومير الكاثوليكي بان يُحبس مدَّة ثلاثة اسابيع لانهُ في وعظهِ حذَّر المؤمنين من الشيعة الماسونيَّة وكذلك لم يسمح المجلس عينهُ للسيد شيپلاك (Ciepiak) بان يزور كاثوليك ابرشيتهِ ومنها ان خمسة من اساقفة الكاثوليك يعيشون اليوم في المنفى لانهم فضَّلوا طاعة الحبر الاعظم على الخضوع لقوانين جائرة في حقّ رعاياهم واشياء كثيرة يمكنا ان نعدّدها لمجلة الكلمة . وان لم ترض بهذه الدلائل الواضحة نقلنا اقوال كثيرين من السياح الفرنج في روسية يستغظمون معاملة الحكومة للكاثوليك في هاتين السنتين

نظام الكنيسة الكاثوليكيَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة ملكيَّةٌ محضة تمتدُّ في كل اقطار العالم رأسها المنظور في عهدنا بيوس العاشر نائب السيد المسيح والخليفة المائتان والثامن والخمسون لبطرس الرسول خادم الرسل لهُ . مجلس امراء فخيم يتوقف من الكرادلة وهم اليوم ٦٤ واحد منهم اقامهُ بيوس التاسع و٣٠ لاون الثالث عشر و٣٣ بيوس العاشر وهم تابعون لاثنتي عشرة دولة . ثمَّ للكنيسة الكاثوليكيَّة ١٦٧٨ بطركاً او مطراناً او اسقفاً . فلها من الكراسي اللاتينيَّة الثابتة ٩٦٦ كرسيًّا منها ٩٠٥ كراسي في اوربَّة و٤٣ في آسية (اي في الهند ويابان والعجم وتركيًّا) و١٣ في افريقية و٢٥١ في جهات اميركا و٣٩ في اوقيانية — ولها من الكراسي الشرقيَّة ٨٣ اعني ٢٠ للارمن و٣ للاقباط و١٤ للروم الروثنيين والصقالبة و١٣ للروم الكاثوليك الملكيين و٩ للسريان و١٣ للكلدان و١١ للموارنة — ولها من الكراسي الشرقيَّة ٤٥٧ كرسيًّا ومن القصادات

الرسولية ١٢ ومن النيابات الرسولية ١٦٠ اي ١١ في اوربة و٦٣ في آسية (الصين وكوريه والصين الهندية وملبار وتركية) و٤٥ في افريقية و٢٣ في اميركة و١٨ في اوقيانية . هذا فضلاً عن ٦٢ وكالة رسولية في جهات مختلفة — والكنيسة الكاثوليكية رهبانيات متعددة كان يبلغ مجموع رهبانها سنة ١٩١٠ نحو ١٢٠,٠٠٠ اكثرهم عدداً الرهبان الفرنسيسيون كانوا ١٦,٩٦٨ ثمَّ يليهم اليسوعيون كانوا ١٦,٢٩٣ ثم اخوة المدارس المسيحية ١٤,٦٣٠ ثم الكبوشيون ١٠,٠٥٦ ثمَّ البندكتيون ٦,٧٧٩ ثمَّ الاخوة المريميون ٥٠٠٠ ثمَّ اللازاريون ٣,٠٠٠ ثمَّ الكرمليون ٢,٨٠٠ ثم التربستيون ٢,١٧٢ الخ . هذا دون الراهبات البالغ عددهنَّ نيفاً ومايتي الف

الدكتور شبلي شميل والمقتطف كل يعرف الآراء الغريبة التي يدافع عنها الدكتور شميل في مصر فانهُ لا ينتصر فقط لدروين ولتعاليمه الواهنة لكنهُ نشر ايضاً راية الزندقة والالحاد وزعم

« ان العلم اليوم يرى ان المواد والقوى الموجودة في الطبيعة والمشتركة بين سائر كائناتها كافية وحدها لتفسير جميع تحولاتها وافعالها البسيطة والمركَّبة الراقية . . . وليس لنا اقلّ دليل علمي كذلك على وجود شيءٍ غير منظور ما دام كلّ شيءٍ تقوم به مواليد الطبيعة موجوداً في العالم المنظور ينشأ فيهِ ويعود اليهِ حتى ولا دليل فلسفي كذلك يستقي مصادرهُ من العلم . . . »

فترى الى اي درجة من الجهل المركَّب يبلغ الكفر باصحابهِ حتى انهم ينسبون الى العلم سفاسف عقائدهم وسخافة آرائهم . وقد سرَّنا ان المقتطف في عدد سبتمبر الاخير (ص ٢٩٩ — ٣٠٠) ردَّ على الدكتور شميل بقولهِ عن مدَّعاه

انهُ « فرضٌ لا يقوم عليهِ دليل اذا اراد بالطبيعة ما هو منظور كما يظهر من سياق كلامهِ لان كل هذا المنظور لا يكفي فيما نعلم حتى الآن لتعليل الظواهر الطبيعية . . . وان كان تموّج النور قد اضطرَّنا الى فرض وجود الاثير فوجود المخلوقات يضطرُّنا الى فرض وجود الواضع لها . وعدم معرفتنا كنه هذا الواضع يضطرُّنا الى الاعتراف بجهلنا وانَّ ما لا نعلمهُ الآن قد يكون اكثر كثيراً مما نعلمهُ »

فهذا القول كافٍ ليفحم الدكتور شبلي وامثالهُ . ويا ليت صاحب المقتطف الاديب تحاشى في ردّهِ بعض الفاظ تمسُّ الاديان كان في غنى عنها

الاله المجهول روى القديس لوقا في اعمال الرسل (١٧ : ٢٣) انَّ بولس الرسول شاهد في اثينة هيكلاً كُتب عليهِ « للاله المجهول » فاتخذ ذلك وسيلة ليبشر بين ظهراني تلك المدينة بلاهوت السيد المسيح . وحتى الآن لم يجد الاثريون

ذكرًا في الآثار القديمة لهذا الاله المجهول. الّا انّ البعثة العلميّة التي نالت الرخصة بحفر مدينة برغامة قد وجدت في العام ١٩١٠ لاوّل مرّة هيكلًا عليهِ في صدرهِ هذه الكتابة « للآلهة المجهولة » فجاء هذا الاكتشاف دليلًا جديدًا على صحة سفر اعمال الرسل وقدمهِ كما نصّ عليهِ رئيس البعثة المسيو دورپفلد (M. Dorpfeld) في مجلة الآثار اليونانيّة (Ath. Mitt., XXXV, 1910, §24—§26)

رسالة برقيّة حول الارض ﴿ لمّا فجز سنة ١٩٠١ الحبل التلغرافي القاطع للاقيانوس الهادي اتّفق ارباب التلغراف على ارسال نبأ برقي يطوف حول الكرة كلها ويعود الى مكان ارساله. فكانت نتيجة ذلك الاختبار ان الرسالة عادت الى مصدرها بعد الطواف بتسع دقائق ونصف. فهذه السنة ارادت جريدة التيمس في نيويرك ان تعيد ذلك الاختبار ولكن دون اتفاق مع احد فارسلت نبأ تلغرافيًا باسمها في تسع كلمات يقطع شمالًا مراكز التلغراف على طريق جزائر هونولولو ثمّ الفيليبين ثم هونغ كنغ فسنغافور ثم بباي فسويس فجبل طارق الى فيّال ثمّ نيويرك حيث وصل بعد ١٦ دقيقة ونصف. فكفى به شاهدًا على رقي النظام التلغرافي في الدول المتمدنة

اكتشافات بردية ﴿ انّ الاكتشافات المتعدّدة التي اجراها العلماء في مصر تأتينا كلّ يوم بمعلومات غير منتظرة. كان الاثريون يرون سابقًا انّ ترجمة الاسفار المقدّسة الى القبطيّة لم تسبق القرن الخامس او السادس. وقد وقفوا مؤخرًا على قطع من البابير المصري عليها عدّة نصوص من العهدين القديم والحديث كسفر تثنية الاشتراع ونبوّة يونان وسفر اعمال الرسل مكتوبة بلهجة اقباط الصعيد التيبيّة بالقلم الراقي الى اواسط القرن الرابع وقد نشرها العلّامة بودج (W. Budge) وبيّن في مقدّمة كتابهِ انّ هذه الاكتشافات وغيرها توجب بالاقرار انّ الاسفار المقدّسة قد نُقلت الى القبطيّة منذ اوائل القرن الثالث وانّ ترجمتها كانت تمّت قبل اواخر ذلك القرن ومن هذا ينتج ايضًا انّ النصرانيّة كانت انتشرت في مصر والصعيد انتشارًا عظيمًا فتتأيد بهِ رواية المؤرخين الكنسيين التي شكّ البعض بصحتها

مكاتب نقّالة ﴿ اعظم همّ للعلماء اذا انتقلوا من مكان الى آخر ان يجدوا مكتبةً واسعة يستفيدون منها الّا انّ الامر يعتاص عليهم وكثيرًا ما

يتمنّون لو ينقل احد معهم مكتبتهم التي اعتادوا مراجعتها. فهذه الرغبة قد حقّقها اليوم العلم فانّ بعض ذوي الثروة عمدوا الى رسم كتب ضخمة بالتصوير الشمسي على قطع صغير جدًّا بحيث لا يزيد حجم الكتاب على ٣ او ٤ سنتيمترات طولًا وسنتيمترين عرضًا وسنتيمتر ونصف سمكًا فيمكن ان يُجعل من هذه الكتب مئات بل الوف في صندوق واحد يسهل نقله فاذا وصل العالم او الكاتب الى بلد امكنهُ بواسطة الفانوس السحري او المجهر تكبير صفحات هذه الكتب الصغّرة والاستفادة منها ما شاء.

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

س سأل احد ادباء الدمشقيين إيلتزم ذمةُ الكاهن الذي قبل حسنة القداس ان يقدّم الذبيحة على نية المحسن وان لم يفعل أيلزم المحسن من ثمرة الذبيحة

حسنة القداس وثمرتها

ج يحتوم على الكاهن الذي قبل حسنة القداس ان يقدّم الذبيحة على نيّة المحسن وان لم يفعل يخطئ خطيئةً ثقيلة ويلتزم من باب العدل ان يعيد الحسنة الى صاحبها. اما ثمرة الذبيحة فلا تُنال لعدم وفاء الكاهن بوعده وانما ينال المحسن فقط ثواب صدقته كما لو احسن الى فقير محتاج او ما كر لوجه الله

وسأل احد قرّائنا ايوجد خطر لانتشار بعض الامراض اذا غُمس الاصبع في اجران الماء المقدّس

اجران الماء المقدّس وانتشار الامراض

ج زعم البعض انّ حتّى التيفوس والهيضة تنتشران بغمس الاصبع في اجران الماء المقدّس. لكنّ هذا من المكن البعيد لا يحصل الّا بوقوع عدّة شروط لا تجتمع الّا نادرًا جدًّا. فالخوف اذن وهميٌّ اكثر منهُ واقعي وكم بالقهاوي والبيوت والنوادي العمومية من الاسباب التي هي اقرب كثيرًا لوقوع الوباء من اجران الماء المقدّس والعجب انّ المنتقدين يسكتون عنها ليوجّهوا نظرهم الى امور فضوليّة فليطمئن الذين لا يكادون يدخلون الكنائس فضلًا عن كون الكنيسة لا تفرض على احد بالتبرُّك من الماء المصلّى عليهِ. وعلى كل حال لا بُدَّ من تنظيف الاجران من وقت الى آخر كما تأمر بهِ القوانين البيعيّة

ل. ش